الباب الأول

رؤية كاتب

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصـل الأول :

قمة العالم تمليك أو إيجار!

أصبح هناك سؤال حتمى فرض نفسه حول حتمية اختيار «باراك أوباما» والظروف الداخلية والخارجية التى أوجبت ذلك، ثم الموقع الأمريكى الحالى فى دورة الإمبراطورية وإدراك واضعى السياسة والإستراتيجية الأمريكية للوضع الحقيقى الذى أصبحت فيه فى دورة الحياة، رغم أنه كان من الطبيعى ألا تدرك ذلك بدقة أو بعد فوات الأوان والوقت الذى يمكن فيه تصحيح الوضع أو علاج الخلل نحو استمرار الإمبراطورية، أو تجديد الحيوية قدر المستطاع، ومن هنا جاء السؤال يفرض نفسه ومكانه...! فماذا يمكن أن يحدث فى العالم فى حالة فشل سياسة أمريكا فى العلاج؟ وهل هناك دول أو إمبراطوريات تسعى نحو اعتلاء القمة؟ ومن هنا وجب تحليل ومعرفة المؤهلات والدوافع! فليس من السهل السعى أو الاقتراب من القمة بغير تلك الدوافع و الإمكانيات التى تجعل ذلك ممكنا أو قريبا من التحقيق والواقع ، وغير ذلك هو ضرب من الجنون أو الانتحار بكل مشتملاتة وأبعاده، للفكرة والهدف والشعب.

أولاً .. من أهم المؤهلات والدوافع لاعتلاء القمة. هو الفرد أو المواطن بوجه عام، وأن يكون لديه الدوافع الخلاقة التى تدفعه وبالقوة المناسبة فى الزحف نحو اعتلاء القمة بكل محاذيره وعواقبه وإن كانت حياته بذاتها، أى لابد من نوعية ذات جودة عالية ومؤهلة (وهى نقطة هامة جداً) وليس على المستوى الشعبى أو العام ، ويكون هذا الهدف حقا متساوياً لكافة أفراد الشعب وليس

لزعامة أو فئة أو طائفة وبرغبة داخلية جماعية وليس دفعاً أو قصراً أو حتى خداعاً إعلاميا لأنه سرعان ما سينكشف أمام الخطوب وأهوال ومصاعب سلم المجد أو القمة، وهنا يكون الانهيار والفشل هو الأقرب .. ومع كل العويل أو الصراخ والمناشدة والمهادنة فى كل بقاع الأرض لحقوق الإنسان وإبداعاته الخلاقة وما أعنيه فى كل بقاع الأرض وليس دولا معينة، أو قطاعا معيناً وإن شئت بدقة فى أى دولة تدعى أو تريد أن تخوض غمار التجربة نحو القمة والفرد هنا هو بمثابة العنق للدولة أو الإمبراطورية (إن راودتها الفكرة)، وهذا العنق شديد الخطر وحساس إلى أقصى درجات الحساسية بحيث يجب أن يحاط بأنواع الوقاية، والرعاية حذرا عليه وعلى الدولة (الإمبراطورية) التى ينتمى إليها من أن يصيبها السوء، فالعنق عضو حساس كما هو عند الناس على حد سواء، وقد يطول هذا العنق ويمتد حتى ليمكن أن توصف بعض الدول (الإمبراطوريات) بأنها عبارة عن عنق طويل التصقت به أجزاء وأعضاء وأشلاء متنوعة، ولولا هذا العنق العظيم ما جاز لهذه الأوصال المتفرقة المتباعدة أن تؤلف جسما متحدا ولا كيانا مؤتلفا.

ثانياً : الاقتراب والتجانس : وبنظرة إلى التجارب السابقة نجد أن تجاور وتقارب الأقطار البيئى كان أكثر تجانسا وتشابها (رغم التعددية)، ودافعا للإمبراطورية على مدى تزامن وجودها على خارطة التاريخ فالدولة الرومانية (الإمبراطورية) (على الرغم من اشتمالها على عناصر من الأسبان و الجول (أجداد الفرنسيين) واليونان والعرب والبربر، فإنها كانت أكثر انسجاما فى تكوينها، وهذه الشعوب كلها فى نظر عالم الأجناس تنتمى إلى سلالات بشرية ليس بينها اختلاف كبير، وكانت الشعوب التى تنتمى أو تنضم إلى الإمبراطورية تشاطرها حظها من الشقاء ، والسعادة والنظام والفوضى أيضا فتغتبط إذا كان الحكم

صالحاً، وتتألم أيضاً من مفاسده وشروره ولم تكن هنالك تلك الروح القومية التى تجعل الناس يحسون أنهم تابعون بالقدر الداعى إلى التفكك أو التشرذم، وبقدر حدوثه يحدث الانهيار والذهاب طى النسيان فى صفحات التاريخ.

والدولة الرومانية (المثال) أسستها « روما» وإيطاليا، ولقد تولى حكم الدولة الرومانية قياصرة من أصل إسبانى فى بعض العهود – بل تولى المنصب مرة أحد العرب دون أن يبدو للناس أن فى هذا الإجراء شذوذا ! وكذلك الدولة العربية قد بسطت سلطانها على المشرق والمغرب فكان للعرب فى بداية عهدها بعض المزايا على سائر الشعوب ، ولكن لم تلبث سائر العناصر أن اشتركت فى الحكم وفى نشر الثقافة العربية وفى نواحى النشاط المختلفة، وبالقدر الذى تظهر به العنصرية يكون معدل الانهيار من الإمبراطورية، أو حتى الفشل للفكرة قبل الصعود إلى قمتها كما حدث فى «ألمانيا» وابتكروا لذلك مبدأ فقالوا إن شعبهم لابد له من شئ أسمه (Lebensyaum) أى المجال الحيوى يشتمل على بلادهم وبلاد غيرهم، وذهب الغلاة منهم إلى أن هذا المجال الحيوى ذو مرونة عظيمة بحيث يجوز أن يشمل العالم كله " اليوم لنا ألمانيا وغدا العالم كله ! ! " أو حتى ما نادت به بعض الشعوب الأوروبية بأنها تحمل عبئا ورسالة مثل " عبء ورسالة يحملها الجنس الأبيض لحرية ورقى العالم (the white man›s Burden) عبر عنها الكتاب والمفكرون بكونها ضربا من الهذيان أو من النفاق لأنها لم تكن عن عقيدة أو إيمان فى العمق، وذلك على الرغم من أن " ألمانيا " حاولت أن تقلد الإمبراطورية الرومانية فى التوسع فى المجال المحيط بها أولا ، مما أدى بالدول التى تحرص على التوازن فى أوروبا لم تطق صبراً على هذا الحال فنشأت الحرب العالمية الثانية التى أنزلت بالعالم أشد الويلات وأفظع الكوارث، ولكننا إذا وصفنا رجلاً بأنه عظيم فلابد لنا أن نبنى

هذا الوصف على بعض الاعتبارات الجسدية أو الثقافية أو العقلية أو المالية أو على هذه كلها ، ويقترب هذا الوصف من الدول أيضاً واستكمالاً لعوامل القوة ودواعى الإمبراطورية.

ثالثاً : المساحة :وهى عنصر من عناصر القوة لكل دولة من الدول، ومؤثرة فى العمق الاستراتيجى ولكن أيضاً تفضيل المساحة مرتبط بأمرين أولهما أن العبرة فى المساحة بالكيف لا بالكم ورب ميل من الأرض خير من ألف ميل .... وثانيهما أن هناك اعتبارات أخرى متعلقة بها مثل موارد الثورة التى تشتمل عليها تلك الأرض وما عمله السكان للانتفاع بتلك الأرض، وبالارتباط الطبيعى يأتى عدد السكان وهى قيمة توزن بها أقدار الدول أيضا فالدول الخمس الأوروبية التى سلم الجميع قبل الحرب بأنها من الدول الكبرى، هى فى الوقت نفسه أكثر دول أوروبا سكانا وهناك دول صغيرة لا يحول بينها وبين بلوغ مرتبة الدول الكبرى سوى قلة السكان مثل هولندا وسويسرا وبلجيكا والدنمارك وتشيكوسلوفاكيا، ومن هنا ترى أيضاً أن صغر المساحة وقلة السكان عائقان لايستهان بهما فى تقدير الدول طبقا للموازين المقررة.

رابعاً : مستوى المعيشة والثقافة : فالرقى الثقافى يجعل الأمة الصغيرة العدد أعظم من أمة قد تفوقها فى العدد، وألمانيا مثلا ينظر إليها العالم على أنها من أعظم دول العالم لا بسبب استعدادها الحربى بل لما اشتهرت به من التفوق والنبوغ فى مجال وميادين العلم والاختراع، أما مستوى المعيشة فهو يعد أيضاً من مقاييس تقدم وقوة الأمم وهو يعنى تمتع السكان بالملبس والمسكن والعناية الصحية ووفرة التعلم، والتأدب طبقاً لدرجة تحررها من الفاقة والمرض والجهل والإجرام.

خامساً : التفوق الاقتصادى والحربى : والمقصود به هنا الوفرة فى إنتاج الغلات الزراعية والصناعية، والتفوق الحربي، وفى اعتقادى انهما فى الحقيقة أمر واحد على

اعتبار أن الإنتاج الحربى ما هو إلا جزء من الإنتاج الصناعى ثم يأتى الوقود اللازم لتوفير القوة ووفرة المعادن والمواد الأولية اللازمة للصناعة، ويؤدى كل ذلك بالتبعية إلى الحاجة إلى سوق تجارى يكفل لها تصريف ما يزيد (بالطبع) عن حاجتها وبالتالى أهمية التجارة العالمية لها، وهى مربط الفرس الساحب دائماً إلى بؤرة الصراع والحرب والتشبث بالقمة أو السعى لها !! .

وقد قسم علماء الإستراتيجية استعداد الدول للإمبراطورية تقسيما حسابيا، بمعنى أن تكون الأرض بمساحتها وخصوبتها ومعادنها ٢٥ درجة، والسكان واستعدادهم وثقافتهم ٢٥ درجة ونشاط السكان وحسن استغلالهم لأرضهم ٥٠ درجة، وإن كنت أختلف كثيراً مع تفهمى لواضعى الدرجات حول هذا التقييم الرقمي، حيث أرى أن الإنسان الفرد بكل إبداعاته هو القادر على صنع المعجزات، والتغلب على كل النقص فى العوامل المذكورة سابقا، ولذلك ذكرت الفرد فى بداية التحليل عن قناعة واعتقاد أيضاً.

والشرق الأوسط وخيالات العاطفة والأمنيات وتداعيات ما تتعرض له الإمبراطورية الأمريكية فى الطور الثالث من دورة الحياة كما ذكرتها سابقا جعلت الشارع السياسى يرى فى عودة « روسيا» إلى المجتمع الدولى بعافية طيبة هى الأمل الباقى أو المتوقع، وهو خيال لا يرقى إلى الواقع أو يقترب منه، لأن «روسيا» فى طورها الأول (الاتحاد السوفييتي) لم ترغب يوما فى صعود قمة الإمبراطورية ولا تريد إلا أن تكون دولة محترمة، ومن الطراز الأول فى العالم وإن كنا لا نرغب أو نريد إلا أن نعطيها أعلى نياشين الإمبراطورية وقد أوضحت ذلك فى تحديد إستراتيجيتها ومجال أمنها القومي، وقد أسهبت فى ذلك قدر المستطاع فى بحث سابق (الدولة والإمبراطورية) ثم المح بعض المحللين السياسيين إلى المارد الصينى القادم والرياح القادمة من الشرق طبقا لمقولة

الراحل الكبير « شواين لاي« الريح قد تأتى من الشرق أحيانا ! ولكن ليس عن أى نوع من التعصب الأعمى وبعيداً أيضاً عن الأمينات والأحلام ، ولكن بقراءة الواقع وتحليل الحاضر نجد أن الشعب الصينى (مع كل التقدير والاحترام والإعجاب لما قام به حتى الآن) ، إلا أننى أرى الشعب الصينى تعوزه الوحدة السياسية التى تمكنه من أن يعمل فى الأوقات العصيبة ، وهو موحد الرأى متفق الكلمة راسخ العقيدة ! ! وهذا ما شجع اليابان على الإغارة على الصين عام ١٩٣١ ثم عام ١٩٣٥ ، كما أن الشعب الصينى تعوزه وحدة الثقافة حيث توجد فى الصين لغات عديدة أشهرها لغة « ماندرين« التى توشك أن تكون هى اللغة الرسمية للبلاد كلها ، وعلى الرغم من أن الصين صاحبة حضارة قديمة وتحتل مساحة كبيرة من الأرض ويعيش شعبها فى وطن غنى التربة طيب الهواء وافر الماء كثير المعادن والكنوز ، والسكان أكثر شعوب الأرض عدداً ، وطالما أنجب العلماء والحكماء وكان مضرب الأمثال فى التفوق الفني ، وما لا يستطيع أن ينكره احد أن « اليابان« اقتبست حضارتها من الصين ، ومع كل ذلك تجد بشئ من التأنى والتروى أن ما تبنيه الصين حالياً من صرح اقتصادى وصناعى هو فى الحقيقة مبنى على « التقليد« الماهر والمتقن والرخيص إلى حد كبير ، ولكن أيضاً هناك شئ خطير جداً وجب ملاحظته والتأكيد عليه وهو أن ذلك « التقليد« حدث نتيجة وقف الإبداع الفنى والإنسانى الخلاق ووقف الانطلاق الفكرى والإنسانى والإبداع العقلى للإنسان الصيني ، على حساب التفرغ « للعمل« بإتقان لملاحقة الحضارة الحديثة استوجب معه أحكاما وقرارات وقوانين شديدة إلى حد القسوة للقضاء على الفساد والكسل والترهل فى الإنتاج كان من أسبابها السلبية إيقاف الإبداع الذهنى للإنسان ليبدع ويفكر ويتأمل ويتحرر ليصنع المعجزات عن عقيدة راسخة وخلاقة تتوافق مع مزاجه وطباعه الشخصى والاجتماعي ، وبالتالى

سلوكه ونمط حياته فطغيان العمل أثر على الفكر الإنسانى بشكل بالغ لا نستطيع أن ننكره، ووضح فى تقرير للأمم المتحدة مؤخرا فى «جنيف« أعربت فيه عن قلقها العميق حول الاستخدام الشائع والروتينى للسلطة الصينية وفق إدعاءات مستمرة أكدتها مصادر صينية قانونية فى هذا الشأن ، ولقد لاحظ وأدرك ذلك واضعو الإستراتيجية الصينية الحالية وقيادتها فى محاولات لتجنب تلك السلبيات، ووضح ذلك من النشيد الوطنى القومى الصينى وكلماته تقول « انهضوا يا من ترفضون أن تكونوا عبيدا .. من دمنا من لحمنا. نبنى لنا سورا عظيما .. فالأمة الصينية تواجه الخطر الأكبر .. من كل صدر يتعالى زئير غاضب .. انهضوا بقلب واحد« .

هذه الكلمات رائعة ، ولكننى أيضاً أراها بعيدة عن القلب والنبض والساعد لإنسان عاش عقودا طويلة للعمل، والعمل فقط لا غير، ومن لا يعمل يموت وإن كان سجينا! ومن يخطئ أو يفكر لن يجد وقتا للعمل، والإنسان العربى فى بداية الدولة «الإمبراطورية« العربية الإسلامية تغلب على كل عوامل القوة السابق ذكرها، طبقاً لما أورده العلماء وواضعو النظريات ، لأنه كانت للإنسان عقيدة وعقل خلاق ومبدع أورد الطبرى والمقريزى وابن سينا وابن النفيس وما لا يحصى من العلماء، كما أن الإنسان الأمريكى كان له هدف فى بداية الإمبراطورية الأمريكية « الحرية.. الأحلام!! « وهذا ما ينقص الصين حتى تعتلى أو تنافس على القمة رغم الاحتياطى النقدى من العملات الأجنبية والذى يبلغ (٢ تريليون دولار) ، وما أفردت له مجلة «الايكونوميست« الرصينة فى عدد ١٥ مارس ٢٠٠٨ فى ملف كامل من ١٤ صفحة عن الغزو الصينى للعالم، وفى قلبه « أفريقيا« بحثا عن المواد الخام والطاقة وتصدير السلع وشبهت الصين بقطار سريع وكبير يستعد للانطلاق.

هل سيقف باقى أقطاب العالم – مع قرب حالة الكساد العالمى والمشكلة الاقتصادية التى بدت بوادرها – فى موقف المتفرج ، أم سيكون هناك صراع تندفع إليه برضاها أو غصبا عنها؟ هذا ما ستسفر عنه السنوات القليلة القادمة، وإن كنت أرى فى النهاية أن الإمبراطورية الأمريكية ونظرا لتحليل المواقف والإمكانيات العالمية الحالية مازال أمامها من الوقت ما يكفى إلى العودة إلى القمة والاستقرار عليها فترة قادمة، لعدم وجود من يستطيع دفع ثمن القمة « تمليك أو إيجار« لفترة طويلة بقانون جديد.

obeikandl.com

الفصل الثانى :

إستراتيجية أمريكية جديدة .. بين الرؤية النظرية والواقع العملى(١)

توجد مسافة بين الرؤية والواقع وهى مسافة غير محددة القيمة أو القياس ، فقد تكون بعيدة بعد الكواكب عن النجوم . وقد تطابق الواقع الملموس طبقا لمعايير وظروف الرؤية ذاتها إن كانت بعيدة عن الأهواء وأمانة القياس والاستدلال ووفرة المعلومات ، ثم خضوع كل ذلك لإعمال فكرى وذهنى يجعل المسافة قريبة ، أو تتلاشى فى أفضل حالات النجاح ، وقد كتبت منذ فترة قصيرة عن رؤية فى العمق الأمريكى ، وما يستتبع ذلك بطبيعة الحال أو ينعكس على السياسة الدولية بكل جوانبها بطبيعة الإمكانيات والمكانة الأمريكية على قمة العالم ، ولزمن قادم وتسارعت الأحداث وتوالت بقدر أعترف بأنه كان أسرع مما توقعت بكثير ، فماذا حدث بعد الرؤية ؟ تلك هى نقطة البداية ومن أول السطر .

أول خطـــاب :

ظهرت الرؤية وتطابقت على الواقع فى أول خطاب رسمى « لباراك أوباما « الرئيس الأمريكى الجديد ، فقد كانت الرؤية أن تتخلى أمريكا عن دور « الشرطى العالمى « والمواجهة المسلحة ،وأن يتم كل ذلك وفقا للدراسات الإستراتيجية الجديدة ، من خلال السيطرة والتحكم الاقتصادى الذى يمكن فى عنفوانه أن يصل إلى الموت البطيء ، أيضا فى أى مواجهة مع الإمبراطورية

obeikandi.com

الأمريكية ، وفى الواقع أعلن «أوباما» أن الولايات المتحدة دشنت عصرا جديداً من الدبلوماسية الأمريكية الجديدة فى العالم ، وشدد الرئيس الأمريكى على أنه لا يمكن الابتعاد عن طاولة المفاوضات أو تجاهل الأعداء أو القوة الهائلة التى يمكن أن تصيب أمريكا بالضرر وركز «أوباما» فى خطابه الذى أستمر ٥٧ دقيقة على الأزمة المالية ، والدور الأمريكى فيها ، فى حين لم تتجاوز قضايا السياسة الخارجية بضع دقائق من الخطاب ، واحتوى خطاب الرئيس الأمريكى «باراك أوباما« على جملة واحدة عن العراق فى تباين واضح مع سلفه جورج بوش . الذى خصص للحرب على العراق ثلاث صفحات كاملة فى خطابه أمام الكونجرس فى يناير ٢٠٠٨ ، وقال أوباما إن إدارته تجرى مراجعة نهائية ومتأنية لسياستها فى حربى العراق وأفغانستان ، وسوف تعلن قريبا طريقا للمضى قدما لترك العراق لشعبه ، وينهى بطريقة مسئولة هذه الحرب وتطابقت الرؤية أيضاً مع الواقع قبل الأحداث وعاد مؤكدا أن بلاده سوف تخرج من الأزمة الاقتصادية أقوى مما كانت ، وسوف تعطى أمريكا دفعة قوية لإنتاج الطاقة المتجددة وتطابقت الرؤية إلى حد بعيد .

حرب أفغانستان :

وكانت الرؤية فيها أن أمريكا وعكس كل ما أعلن أو توقعه الخبراء أو تناقلته وكالات الأنباء بأن أمريكا سوف توكل الملف الأفغانى «لباكستان» وصدقت الرؤية وتطابقت طبقا للإستراتيجية الجديدة والسابق تحليلها سابقا وبدأت ملامح التفعيل وبسرعة فائقة تعدت المعدلات المتوقعة وصرح مسئولون حكوميون فى اليابان بأن اليابان تعتزم إعطاء المزيد من الاهتمام والتركيز على أفغانستان وباكستان فى سياستها الخاصة لمكافحة الإرهاب تماشيا مع تعهدات الرئيس الأمريكى باراك أوبما ونقلت وكالة «كيودو» اليابانية للأنباء عن المسئولين قولهم

إن اليابان سوف تواصل جهودها لتقديم حزمه المساعدات التى تبلغ قيمتها مليارى دولار و سوف تستضيف اليابان مؤتمرا للمانحين أيضا لدعم باكستان فى أبريل المقبل « .. وأعلن الرئيس الأمريكى أن بلاده لا ترغب فى وجود عسكرى أمريكى طويل الأجل فى أفغانستان ويأتى ذلك بعد يومين من إعلانه عن الخطط بسحب جميع القوات الأمريكية من العراق بحلول نهاية ٢٠١١ وإنهاء مهمة القوات الأمريكية القتالية بالعراق فى ٣١ أغسطس ٢٠١٠ وأضاف بأنه مقتنع بأن المهمة فى أفغانستان هى مهمة لحلف شمال الأطلنطى وليست مهمة أمريكية وصدقت الرؤية بل وتطابقت خلافا لكل التوقعات والتحليلات فى كافه وسائل الإعلام العالمية والمحلية والإقليمية !! ودعا أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى إلى إعادة النظر فى المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة إلى باكستان فى ضوء تقرير ديوان المحاسبة الأمريكى الذى أشار إلى أن المساعدات لم تسفر عن نتائج حتى الآن واقترح «جون كيرى» رئيس لجنة الشئون الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى مضاعفة المساعدات غير العسكرية لباكستان لثلاثة أضعاف!! وذلك للحيلولة دون وقوعها فى الفوضى وأضاف بأنه يعتزم تقديم مشروع قانون لرفع المساعدات إلى إسلام أباد إلى سبعة مليارات ونصف المليار خلال خمس سنوات وحذر من أن الفشل فى ذلك معناه تفاقم الانهيار الاقتصادى هناك وتفاقم التطرف وتحول باكستان إلى ملاذ للإرهابيين وأضاف أيضاً بأنه على الولايات المتحدة وأوروبا الإفراج عن مساعدة ماليه عاجلة لباكستان بقيمة خمسة مليارات دولار لدعم الاقتصاد وعلى الصعيد السياسى تعقد وزيرة الخارجية الأمريكية «هيلارى كلينتون» اجتماعا ثلاثيا مع نظيريها الأفغانى «رانجين دادفارسبانتا» والباكستانى «شاه محمود قريش» فى واشنطن لبحث الوضع الجديد فى أفغانستان فى إطار الجهود الأمريكية لإعلان إستراتيجية جديدة بشأن المنطقة قبل قمة

الأطلنطى المقررة فى ٣ ، ٤ أبريل المقبل فى « ستراسبورج « طبقا لإعلان ذلك على لسان «روبرت وود» المتحدث باسم الخارجية الأمريكية وصدقت الرؤية وتطابقت مع الواقع وكما أوضحت خلافا لكل التحليلات والتوقعات السابقة ! !

ترقب أوروبا :

كانت الرؤية أن أعلى استثمارات لأوروبا وأفضلها يتم على الأراضى الأمريكية وأن النسبة تصل إلى ما يقرب من ٥٠٪ من الاستثمارات الأوروبية وأن المفتاح سوف يكون فى اليد الأمريكية صاحبة اليد العليا وللمساعدة فى الحلول يجب أن تتوافق مع الإستراتيجية الأمريكية الجديدة وعقدت قمة أوروبية لذلك ترمى إلى رص الصفوف على أرض الواقع وسيسعى القادة الأوروبيون خلالها إلى تجاوز خلافاتهم حول الحمائية وإلى تقريب وجهات النظر بين دول شرق وغرب أوروبا وأعرب «توبولانيك» رئيس وزراء جمهورية التشيك التى تترأس حالياً الاتحاد الأوروبى على غرار نظيره فى لوكسمبرج «جان كلودبونكر» رئيس مجوعة الدول التى اعتمدت اليورو عن معارضتهم خطة شاملة لشرق أوروبا داعين بدلا منها إلى مساعدة كل حالة على حدة وكانت الرؤية أيضاً بعدم إمكانية صمود اليورو كعملة للصرف وظهرت على الواقع مشاكل الصرف والسيولة وتترقبها أمريكا من موقع القمة .

تحجيم الصين :

ووفقا للرؤية والتى سبق ذكرها بأن الاحتياطى النقدى الصينى وصل إلى ١٨ تريليون دولار وبدأت فى تنفيذ خطة «عقد اللؤلؤ» الأولى والثانية ووفقاً للإستراتيجية الأمريكية الجديدة بالسيطرة على القمة وحيدة من خلال إحكام السيطرة الاقتصادية على العالم والتخلى عن دور الشرطى العالمى والتى ملتها الحكومة وثبت فشلها وكذلك ملها المواطن الأمريكى ودافع الضرائب وتعارض ذلك مع مبدأ أرض الأحلام

وبعد إعلان الصين عن قرب الرفاهية من الاقتصاد الأمريكى بحلول ٢٠٣٠ ثم تحسن الأوضاع إلى ٢٠٢٥ ثم فى أواخر العام الماضى إلى إمكانية تحقيق ذلك بحلول ٢٠٢٠ إلا أن أمريكا لم تسمح بالتجاوز وفقا للإستراتيجية الجديدة وبدأت الملامح بسرعة مذهلة لم تستغرق سنوات كما كان متوقعا ولكن بدأت الملامح فى غضون شهور عديدة بقدرة أمريكا على السيطرة وإجبار الآخرين على الدخول فى الحظيرة الأمريكية وفقا لشروط الإمبراطورية وإلا !! طالما أن جزءاً كبيراً من الاستثمارات الصينية تتم على الأراضى الأمريكية ومن خلالها وفى بورصة «منهاتن» الشهيرة على أرض الواقع بدأت الصين فى طرد ما يزيد على ٣٠ مليون موظف وأغلقت أكثر من ١٢٠ ألف مصنع وتلك نقطة البداية أو أول الغيث !! ويشرف على الإستراتيجية الجديدة « دينيس روس « مستشارا خاصا لوزارة الخارجية الأمريكية لشئون منطقتى الخليج العربى وجنوب غرب آسيا وفى استمرار تطابق الرؤية مع الواقع بدأ النفط يتخلى عن مكاسبه ووصل إلى ٣٩ دولارا للبرميل فى أسواق آسيا وربما يكون فى طريقة نحو الهاوية أو حدود ٢٠ دولارا للبرميل فى حالة خروج أمريكا كمستهلك للنفط من السوق العالمى طبقا للإستراتيجية الجديدة وفى العمق من الرؤية تباطأ النمو الاقتصادى الصينى ليصل إلى ٦,٨٪ فى الربع الأخير من العام الماضى ، ٩٪ فى الربع الثالث ، ١٠,١٪ فى الربع الثانى أى أن بداية التراجع كانت بعد الربع الأول من العام الماضى وربما يكون القادم بنسبة أعلى .

الأزمة الإيرانية :

أعلن رئيس هيئة أركان الجيوش الأمريكية الأدميرال « مايكل مولن « متحدثا للتليفزيون أن إيران تمتلك ما يكفى من المواد الانشطارية لصنع قنبلة ذرية ومن ناحية أخرى أكد وزير الخارجية الإيرانى « نور مشهر متقى « أن السياسة الخارجية فى عهد الرئيس الإيرانى « محمود أحمدى نجاد « نجحت فى خلق

فرص جديدة للبلاد فى شتى المجالات ثم أضاف أن إيران فرضت كلمتها على الأجواء السياسية وأجبرت أمريكا على الخضوع للمساءلة وأضاف «داودى» نائب الرئيس الإيرانى أن حجم التجارة من السلع يصل الآن إلى نحو ٣٠٠ مليون دولار سنويا بينما تدر السياحة نحو ٥٠٠ مليون دولار فى العام وكانت الرؤية أن إيران اتبعت سياسة مطابقة تماما لما فعلته إسرائيل لتنفيذ برنامجها النووى فى بحث كامل ثم نشره فى أخر ساعه «البرنامج النووى الإيرانى صورة طبق الأصل من البرنامج النووى الإسرائيلى» وبصورة أوضح أن إيران سوف تمتلك الناصية النووية وصدقت الرؤية وفى الواقع وقبل انتخابات الأمريكية ذهب «بايدن» نائب الرئيس الأمريكى إلى إسرائيل وكان مرشحاً وقتها لهذا المنصب ونصح ساسة إسرائيل قائلاً «يجب على إسرائيل تقبل إيران النووية» وذهب «إيهود أولمرت» إلى روسيا فهم أهله الأصليون طالبا المشورة وهل يمكن إيقاف البرنامج النووى الإيرانى فقالوا له «فات القطار من وقت طويل» وصدقت الرؤية ولكن فى الرؤية أيضاً طبقا للإستراتيجية الجديدة فماذا سوف تفعل إيران عندما يهبط سعر برميل النفط إلى أقل من ٢٠ دولار للبرميل وقد كان قريبا من ١٣٠ دولارا ووصل إلى ٣٩ دولاراً وفى طريقه للهبوط بأسرع مما توقع المحللون وستكون إيران فى متناول اليد الأمريكية عندما تكون الأولوية لها للطعام والأدوية والاحتياجات الأساسية؟ فلن يكون أمامها إلا الرضوخ والدخول فى الحظيرة الأمريكية طواعية بدون عنف قابلة للدور الذى تعده أمريكا لها كمساعدة فى تطبيق الإستراتيجية الجديدة أو بما يشبه وظيفة شيخ الغفر فى القرية المصرية وعندها تنطبق الرؤية على الواقع تماما ولن تضحى أمريكا باللاعب الإيرانى بضربة عسكرية لأنها تدرك ما يمكن أن يقدمه لها من مساعدات وخدمات شرق أوسطية فى المستقبل القريب يدار من واشنطن إلى الشرق الأوسط عبر أنقرة وطهران .

جبهة جديدة :

لم يترك «بنيامين نيتنياهو» الفرصة تمر مرور الكرام دون أن يقول معلقاً «أن إيران اليوم أضعف منها منذ ستة أشهر بسبب تداعيات الأزمة الاقتصادية والعالمية ولذلك فإنه يمكن للمجتمع الدولى تشديد الضغط عليها من أجل منعها من الكرسى النووى» ونسى أن القرار والتوقيت طبقا للإستراتيجية الأمريكية الجديدة فى واشنطن وطبقا للرؤية أيضاً ومن ناحية أخرى بدأت إيران فى فتح جبهة جديدة بعد ظهور بوادر تخفيف حدة التأثير لوجود القوات الأمريكية القريبة من إيران وبدأت تتجه نحو أفغانستان وأعلن وزير الخارجية الأفغانى «رانجين دادفارسباتنا» «أنه على الولايات المتحدة الدخول فى حوار مع إيران باعتبارها لاعبا أساسياً ومهما بشأن قضايا الأعمار والأمن فى إشارة إلى مساهمة إيران تبلغ ٣٠٠ مليون دولار لإعادة أعمار أفغانستان ولها دور نشط فى الداخل الأفغانى» وتابع مصدر مسئول بالحكومة البريطانية أن بلاده لا تستبعد توجه لندن نحو إيران باعتبارها دولة رئيسية بالمنطقة وأضاف أن الدور إيجابيا من إيران سيكون مرحبا به ولن نعارض مشاركة إيران ! ! فى الوقت الذى أعلنت فيه إيطاليا بأنها تدرس دعوة إيران لمؤتمر فى يونيو القادم حول تأمين حدود أفغانستان وتطابقت الرؤية مع الواقع أيضاً .

إستراتيجية أمريكية جديدة .. بين الرؤية النظرية والواقع العملى (٢)

بعد قراءة مستفيضة فى أول خطاب رسمى للرئيس الأمريكى «باراك أوباما» كتبت فى البحث السابق عن «إستراتيجية أمريكية جديدة بين الرؤية النظرية والواقع العملى» (١) ، موضحا كيف سيكون تعامل واشنطن مع الملفات الدولية الهامة ، وعلى رأسها الحرب فى أفغانستان والتعامل مع أوروبا والصين فى ظل الأزمة الاقتصادية ، وأزمة الملف النووى الإيرانى ، وذلك على ضوء خطاب أوباما ومعطيات دولية جديدة لم تكن فى الحسبان من قبل ، وفى نفس الإطار سنحاول إيضاح كيف سيكون تعاطى الإدارة الأمريكية الجديدة مع القضية الفلسطينية والموقف فى السودان إضافة إلى القضايا العربية بشكل عام .

الخليج العربى : وكانت الرؤية هى استمرار التوتر والقلق فى الخليج العربى طالما تتحرك الكرة السياسية فيه بين ثلاث نقاط وهى أنقرة وطهران والرياض فيما أسميته بمثلث القلق ولن تهدأ الأمور فى الخليج العربى إلا عند تعديل المسار فى شكل رباعى أسميته بمربع الاستقرار بالاتجاه نحو النقطة الرابعة وهى القاهرة ومن الواقع وعلى الرغم من التصريحات الإيرانية « لأحمدى نجاد « الرئيس الإيرانى لملك البحرين « حمد « باحترام إيران لحدود البحرين إلا أن التصريحات الإيرانية السابقة بشأن البحرين وكونها محافظة إيرانية أثارت العديد من الشكوك بل وأثبتتها على المدى البعيد بالنوايا غير الطيبة لإيران فى الشرق الأوسط ولن تزول من الذهن العربى إلى وقت بعيد وظهرت الحاجة الملحة طبقا للرؤية وعدم المكابرة سعيا وراء مربع الاستقرار لتتحرك الكرة السياسية فى شكل رباعى يضم القاهرة بدت تتضح معالمه بزيارة عاجلة للقيادة

المصرية إلى مملكة البحرين فى إشارة واضحة بعودة الحركة فى شكل رباعى يمثل مربع الاستقرار وحدود الأمن القومى العربى بريادة مصرية كما كانت الرؤية معبرة قبل الأزمة والأحداث وقد ظهر ذلك بحتمية العودة إلى مربع الاستقرار بشكل رسمى أعرب عنه الملك « عبد الله « خادم الحرمين فى رسالة واضحة لإيران بالتمسك السعودى بمربع الاستقرار الممتد للقاهرة و أكد ذلك أيضا خبراء سياسيون ودبلوماسيون بالمملكة العربية السعودية حول أهمية الدور المصرى والدبلوماسية المصرية لخدمة القضايا العربية . وقال الدكتور عبد العزيز الصريخ الدبلوماسى بالخارجية السعودية أن رسالة خادم الحرمين للرئيس « مبارك جاءت كاعتراف بالدور المصرى وإعطاء الفضل لأهله « وصدقت الرؤية وقاربت على التطابق مع الأحداث وتلك رسالة الكاتب أو هى كل رسالته !! .

المشكلة الفلسطينية وإسرائيل : وطبقا للرؤية فإن الموقف الإسرائيلى مجبر على التهدئة المشروطة طبقا للإستراتيجية الأمريكية الجديدة وعدم سحب أمريكا لمواجهة مع إيران أو التصعيد فى الشرق الأوسط بالقيادة أو التبعية وبدأت واشنطن طبقا للواقع ومتوافقة مع الرؤية بفرض قيود على المساعدات العسكرية لإسرائيل وأعربت الدوائر الأمنية فى إسرائيل عن خشيتها من تقليص المساعدات العسكرية المقدمة لإسرائيل نتيجة الأزمة الاقتصادية أو قل الإستراتيجية وكشفت الإذاعة الإسرائيلية إن الإدارة الأمريكية أمرت مؤخرا بفرض بعض القيود على هذه المساعدات ولم تسمح لإسرائيل باقتناء عدة منتجات طلبتها البعثة العسكرية الأمنية الإسرائيلية وتم الإيعاز إلى جميع وحدات الجيش الإسرائيلى بعدم استخدام أموال الدعم العسكرى الأمريكى إلا عند الضرورة لأغراض الدفاع والتعاظم العسكرى وصدقت الرؤية قبل الأحداث أيضاً وطبقا للرؤية أيضاً فلو كانت إسرائيل مقبلة على تنازلات أليمة كما تعبر أو

مفاوضات حية وحقيقية لتم تشكيل الحكومة برئاسة « ليفنى « ولو كانت مقبلة على مواجهة شرق أوسطية أو إقليمية « مع إيران « لتم تشكيل الحكومة برئاسة « إيهود باراك « ولكن طبقا للرؤية وطالما الأحداث فى حيز التجميد والالتفاف كما أوضحت الرؤية فلزم تشكيل الحكومة برئاسة « بنيامين نتنياهو « فالأوراق ومن التجارب أصبحت واضحة ومكشوفة أيضا ولنا ولهم خبرة وباع فى ذلك وطبقا للرؤية أيضا فسوف يدور « نتنياهو « وهو بارع فى ذلك ويلف و يلف ولا يمنع التفاوض أبدا فهى لعبته المفضلة ووفقا لشروط تعجيزية أعرب عنها فى مقابلة مع صحيفة « واشنطن بوست « « أن فكرته لتحقيق السلام ترتكز على ضرورة الاهتمام بالجانب الاقتصادى للفلسطينيين فى الوقت الذى تجرى فيه المفاوضات السياسية وأن ذلك سوف يجعل من الصعب على الفلسطينيين اللجوء إلى العنف ضد إسرائيل لأنه سيكون لديهم ما يخسرونه «.

كلام نتنياهو ينطوى على إشارة إلى التلافيف والقيود حول دخول مساعدات الإعمار ربما بحجة أن مواسير الصرف ربما تستخدم فى صنع صواريخ قسام أو أن هناك احتمالا لاستخدام الزلط أو الأسمنت فى تقنية فلسطينية للعنف أو تشجيع المتطرفين بإيجاد مأوى لهم صحى ومناسب قد يدفعهم للعنف أو عدم مواءمة الظروف الأمنية أو الإدارية لاستمرار تدفق مواد الإعمار وبدأت تظهر ملامح الحجج الإسرائيلية بعدم رغبة نتنياهو فى المفاوضة مع الفلسطينيين فى حكومة يكون أحد أعضائها من حماس وذلك بعد ظهور ملامح التوافق بين فتح – حماس بجهود القاهرة المضنية ثم ربط فتح المعابر بالتفاوض حول « جلعاد شاليط « الجندى الإسرائيلى الذى يساوى الشعب الفلسطينى بأسره وتصريح « هيلارى كلينتون « وزيرة الخارجية الأمريكية « أن الجهود المبذولة لتحقيق

المصالحة الفلسطينية لا تعنى تحقيق أى تقدم بالمنطقة إذا لم تقبل حركة حماس بالشروط الدولية لمحادثات السلام وأهمها الاعتراف بإسرائيل « ، وتلاحظ أن ذلك الإعلان الإسرائيلى . الأمريكى لم يأت إلا بعد التيقن من نجاح القاهرة فى رأب الصدع الفلسطينى الفلسطينى وعودة إلى نقطة البداية !! ولكن ماذا لو أعلنت حماس والأمر ينطبق تماما على باقى الفصائل الفلسطينية بالموافقة على الشروط فماذا سيحدث ؟ عند ذلك وبسهولة تقول الرؤية أن «نتنياهو « سوف يعلن عن مفاوضات فلسطينية – إسرائيلية وبدقة متناهية حول الأرض المتفاوض عليها تبدأ بعد عدد حبات الرمل لتقسيم الأرض بدقة بين إسرائيل وفلسطين حتى تكون قسمة عادلة وعند قرب نهاية العد يتشكك فيما تم عدة ليبدأ العد من جديد وقد يستغرق ذلك أربعمائة عام قادمة وليست الأربع سنوات القادمة وهى العمر الافتراضى للحكومة المرتقبة ما لم يحدث جديداً .

ربما يتم ذلك فى عهد « بنيامين « الحفيد الأصغر للجد الأكبر نتنياهو بعد حياة حافلة بالمفاوضات ولله الأمر من قبل ومن بعد ولا أراكم الله مكروها فى عزيز لديكم وبقيت مقولة « ليفنى « أن نتنياهو أكثر تطرفا من ليبرمان وبدت ملامح التفاوض بالتناقض بين الإعلان والواقع للعمل بجدية لتحقيق خطة القدس ٢٠٢٠ والمتمثل فى سحب هويات المواطنين الفلسطينيين وإنذار ثمانية آلاف مقيم لإخلاء منازلهم وهدم حى المغاربة بالكامل وإزالة العشرات «٨٨« منزلا فى حى البستان « بمنطقة سلوان الملاصقة لأسوار القدس وذلك بهدف تغيير الوضع العمرانى والسكانى للدعوة إلى القبول بالأمر الواقع طبقا لنظرية المستوطنات السابق المعاناة منها حتى الآن بالخيار بين القبول بالواقع وكأنه نزل من السماء أو الغضب الإسرائيلى وما أدرك ما هو ؟!!.

السودان : كانت الرؤية وفقا للإستراتيجية الجديدة تهدئة الموقف أو تجميده مؤقتا وفقا للأحداث العالمية الجديدة لإعطاء الضوء الأخضر من أمريكا بتقديم طلب عربى أو من خلال الجامعة العربية بإيقاف ملاحقة « عمر البشير « الرئيس السودانى من المحكمة الجنائية الدولية وفى الواقع فإن القرار النهائى مازال قيد البحث ولكن فى إطار الرؤية ذاتها إما بإيقاف الملاحقة لمدة عامين أو صدور القرار دون تفعيل وتأجيل التنفيذ والملاحقة لمده عامين ولازال البحث مستمرا و بقيت نقطة واحدة وهى الموقف العربى فالسودان تترأس الدورة الحالية للجامعة العربية ويوجد عدة صياغات لقرار بشأن الملاحقة لم تتضح معالمها بعد طبقا لتطورات القرار الدولى وبقى التساؤل هل سترفض الدول العربية القرار ولا تنفذه مساندة للنظام السودانى و حتى تستقر الأوضاع فى المنطقة العربية المضطربة حالياً ؟ أو القرار المتزن والمتوازن العادى جدا بالدعوة إلى الالتزام بالقرارات الدولية ذات الصلة واحترامها مع الرفض المؤدب مثلما حدث مع العراق وليبيا ؟! وهذا ما لم تتضح معالمه حتى الآن .. وإن كانت الغيوم تحوم من جديد بين الشمال والجنوب وتتصاعد حدة المواجهة فى دارفور رغم الوساطة القطرية الباحثة عن الدور والوليدة أيضاً .

التضامن العربى : والذى أصبح من المعضلات العربية التى تحولت إلى أزمة مزمنة ومحيرة فهو تضامن هش أو مترهل يعانى من الحاجة إلى العلاج الجذرى بدلا من الترميم المؤقت الذى يظهر لنا الخلافات والشقاق من حين إلى آخر ثم تعود المصافحات والأمنيات الطيبة والعودة إلى الصف العربى الموحد ثم سرعان ما يعود الشقاق والتنافر ودون أسباب حقيقية أو معلومة ليستتبعها أيضا وعلى التوالى الأمنيات والاتصالات عن عودته مرة أخرى وقرب التصافح « فهل من أجل إنجاح مؤتمر الدوحة المقبل « فهل هذا هو المعقول أو المطلوب فى

الشارع العربى على المستوى الشعبى أو السياسى الذى انتابته نوبة من الملل والتراخى مع المستجدات السريعة حولنا والتى تحولت فى بعض حالاتها إلى اللامبالاة و حتى لاتصل إلى اليأس أو نوبة من الغيبوبة يصعب معها الاستنفار أو الإفاقة وإلى متى يستمر ذلك .. لست أدرى ، وأريد أن أقول إن الرؤية فى مفترق الطرق بين المشاهدة والمعلومة والتحليل وبين التحليل بدون معلومة أو مشاهدة والذى يعتبر نوعا من التنجيم الذى يعتمد على الشعوذة الفكرية واستنادا إلى الصدفة والتخمين وفى الحقيقة فإننى أرى أن التحليل لحدث ماض وإن كان مفيدا للعظة والتاريخ إلا أنه لا يخضع لحدود الرؤية لأنه يقف فى موقع الامتياز لمعرفته المسبقة بالنتائج وحتما يميل نحو الأفضل ونادرا ما يقف فى موقف صاحب القرار وقت اتخاذه مما قد يوقعها فى طوق هوة جلد الذات أو حتى لا تبدو كذلك .. وتقول الرؤية فى العمق الأمريكى أن العلاقات العربية الأمريكية سوف تتحسن خاصة بعد تغيير الإستراتيجية الأمريكية بتوجيهات جديدة ، ومن المشاهدة أن السياسة الأمريكية مثلا كانت صوب محاولة فى حقبة بوش الابن نحو تجربة إسناد أدوار بديلة أو موازية للدور المصرى للضغط أحيانا أو لإثبات أن المكانة والدور ينبع من واشنطن والحقيقة أثبتت غير ذلك وفقا للأحداث الجسمية التى مرت بها المنطقة فى الفترة السابقة مباشرة على تولى الإدارة الجديدة وأثبتت أن أهمية الدور المصرى لازالت فى المقدمة ولا يمكن صنع أدوار بديلة بأية اعتبارات أو مساندات وأقول خاصة فى الشرق الأوسط لأنها أدوار تنبع من الجذور والتاريخ والإمكانيات وهى ثوابت فى التقييم خاصة فى الشرق الأوسط ومن هنا عاد مؤشر السياسة الأمريكية ميلا نحو القاهرة والتى تملك كل المقومات والخبرات لإدارة أزمات الشرق الأوسط وبالأخص العربية منذ غزو العراق ومذبحة غزة والتوغل الإسرائيلى وإعادة الاعمار وأزمة

obeikandl.com

السودان مما فرض على الإستراتيجية الأمريكية الاتجاه نحو القاهرة من جديد وانزوى ما عرف بقانون « محاسبة مصر » الذى تقدم به بالتوقيع ثلاثون عضوا من الكونجرس وانتهى بثلاثة عشر توقيعا فقط اقتصر على الإشارة فقط فى بيان الخارجية الأمريكية مع استمرار المساعدات الأمريكية فى الحدود المقررة مع مراعاة الأزمة المالية الحالية والتى طبقت على جميع من يتلقون المساعدات بما فيها إسرائيل والأردن وهى وإن لم تكن كافية إلا أنها مؤشر نحو عودة الاعتدال فى التعامل مع القاهرة ذات الدور المؤثر والفاعل ليس على المستوى العربى فقط وإنما الإقليمى أيضاً .

ولكن فى النهاية فإننى أرى أن هذه العلاقة الخاصة بل والعربية عامة سوف تشهد نوعا من الصعود والهبوط ليس لخطأ فى الممارسة ولكن لاعتبارات عديدة يغفل عنها الكثير من المحللين السياسيين فى الشرق الأوسط وأمريكا أيضا وهى تبدو فى عمقها مثل لاعبين للشطرنج فى مبارزة من دورين وبعد نهاية الدور الأولى ينسى اللاعب الأمريكى تماما نتائج الدور الأول مع أول حركة للقطعة الأولى فى الدور الثانى بعد إعادة ترتيب القطع للدور الثانى بينما يظل اللاعب العربى يفكر ويتأثر بنتائج الدور الأول مع بداية الدور الثانى وهنا يكون الخلاف والاختلاف لاختلاف المشاعر (هامة عربيا) واختلاف الفكر أيضا للظروف البيئية لكلا الطرفين فالطرف العربى يتعامل بالمشاعر والحب والصداقة لحد بعيد بعد أن يبدأ التعاون بالتحالف بينما اللاعب الأمريكى يتعامل وفقا للمصالح فقط وبدون أدنى مشاعر أو ذكرى لأحداث الدور الأول فكل دور بفكر جديد هدفه تحقيق الهدف فقط فلا ينظر إلى الماضى أو تحالف سابق طالما لم يخنك فيه ولكن الآن يأتى دور جديد ومصلحة جديدة قد تكون خصماً فيه أو متحالفا ولا مانع من ذلك فالمصلحة هى الأساس والمشاعر أثناء التحالف فقط ! بينما

يكون اللاعب العربى مازال أسيرا لأحداث الماضى بالود والعشم والذكريات بل والأوهام ويصب جام غضبه أو خلافه حتى يأتى تحالف جديد ومن هنا يكون الصعود والهبوط فى العلاقات العربية الأمريكية ! وتأثرا أيضا بالماضى الدافئ يطلب اللاعب العربى من الأمريكى العدل والمساندة فى الأزمات عن سوء فهم لسلوك وفكر اللاعب الأمريكى ولكنه يراه حاكما .. وهنا الخطأ فهو صاحب مصلحة وليس قاضيا لتطلب منه الحكم بالعدل ولا يقف فى ساحة محكمة وعلى منصتها ولكنه فى ساحة دولية تحكمها المصالح فقط ! ومن هنا يبدأ التململ الأمريكى هبوطا مع المجاملة ! وفى النهاية فإننى أرى تقاربا أمريكيا عربيا فى الفترة القادمة فقط وليس إلى الأبد فهو تصادم فكرى بين المصلحة والأحلام ولكن إلى متى ؟! لست أدرى ..

obeikandl.com

الفصل الثالث :

رجال الإستراتيجية الأمريكية الجديدة

رغم أن «ليدل هارت» كان إنعاشاً متأخراً لطريقة القرن التاسع عشر فى التفكير والتى قادت إلى مراجعة لكثير من النظريات ... ورغم أن نظرياته تعتمد على التقرب غير المباشر الذى يعتبر مثل الجدل المادى والتحليل النفسى ولا يخضع للبرهان العلمي، فقد تم التوصل إليها بطريقة التخمين بعد قراءة متأنية ومتعمقة وفردية للتاريخ.. ومع ذلك يجب أن تستمر فى دراسة « ليدل هارت» لأن فيها فرصة للتعلم وإن اختلفنا معه فى الرأى .. ومنها أن القوانين وبالتالى السياسات لا تستقر أمام حركة الزمن والمكان .. ومن هنا لاحظت وبصفة شخصية أن ثبات القوانين محال ولكنها تتحرك ببطء طبقاً لحاجة المستخدم ورغبته مما يمكن معه التحايل على النظرية بتغيير الأولوية.

ومن هنا فالحكومات ومستشاروها الإستراتيجيون الآن هم أقل اهتماماً بإدارة الحرب وأكثر اهتماماً بميزان الحرب ذاته وبوسائل معالجتها لغايات سياسية وطبقاً لتأكيد «كلاوزفيتز» على أن « فن الحرب» فى ارفع أشكاله هو «سياسة» .. ومن هنا وبعد مراقبة الأحداث وقراءة الأبعاد وضح لنا تغيير الإستراتيجية الغربية والأمريكية الحديثة فى الأولوية فقط على اعتبار أن «الصراع السياسي» فى قمة الأولوية وبعد إيضاح المهام والملامح وجب علينا النظر من زاوية محدودة ومحددة أيضاً حول علاقة الأشخاص «أصحاب الممارسة والاختيار» بين الأولويات .. وخاصة أنهم مارسوا نظرية الحل العسكرى وبعد ثبوت فشلها فإنه

لزم أن يتوارى جزء منهم خلف ستارة التاريخ ومع ذلك يبقى بعض منهم على مسرح الأحداث يلعبون دورهم ولكن وفقاً للأولويات الجديدة .. فوجب توضيح العلاقة الشخصية بينهم وعوامل التجمع أو التفريق طبقاً لمتطلبات الأحداث ومناسبة الدور .. وسوف تظهر لنا – فى النهاية – الصورة أوضح والطريق أساسى فى تحديد المحل والاتجاه وهذا واجب المثقف وحامل أمانة الكلمة.

اعتذار الابن :

أولاً: جورج بوش «الابن» : وعلى الرغم أنه من الصعب أن نتصور فى ظل التغطية الإعلامية الكثيفة والأحداث المثيرة والتحقيقات المستقلة أننا لانزال نجهل بعض أهم الوقائع ومؤقتاً فلم يعد أمامنا سوى الاستنتاج من الأحداث ثم التوصل إلى الفراغات والبناء عليها بدلاً من وضع علامات الاستفهام أو التعجب «ولو مؤقتاً» .. أغلق الرئيس بوش «الابن» سماعة التليفون بغضب منهياً على نحو لا يقبل التأويل حواراً متوتراً مع أبيه الرئيس السابق للولايات المتحدة «جورج هربرت ووكر بوش» وكان ذلك فى عام ٢٠٠٣ وكان الجدل والاحتكاك بين الرئيسين الحادى والأربعين والثالث والأربعين للولايات المتحدة قد بلغ الزروه لفترة طويلة وإن ظل فى نطاق السرية بين الأب وابنه، وإن ظلت التفاصيل الدقيقة للمحادثة لا يعرفها إلا الرجلان وحدهما ..! فإن عدة مصادر مطلعة تشير إلى أن الجدل مرده إلى ما كان يخالج والد بوش من هواجس وشكوك آنذاك حيال الطريقة التى كان يدير بها «جورج دبليو بوش» إدارته وكان بوش الأب منزعجاً من سماح ابنه لوزير الدفاع « رامسفيلد» بممارسة نفوذ واسع على السياسة الخارجية ولاسيما فيما يتعلق بالعراق! ومن إعطائه أذناً صماء لنصائح المعتدلين بمن فيهم وزير الخارجية «كولن باول» .. وبعبارة أخرى كان والد جورج دبليو يتملكه شئ من المخاوف مما كان يصدر من منتقدى ابنه

العلنيين ورغم ذلك ففى وقت لاحق عاود الرئيس الاتصال هاتفياً بأبيه وقدم إليه اعتذاراً على السماعة بوجهه – وهكذا لم ينشأ شرخ فى العلاقة بينهما وفقاً لمصادر عليمة بالحادثة .. ومن هنا فالسجال بين الأب وابنه لا يمكن إلا أن يؤكد إلى أى مدى ابتعدت فيه رئاسة «جورج دبليو بوش» جذرياً عن التقاليد للسياسة الخارجية الأمريكية كما جسدها أبوه بالذات .. ومن هنا تلاحظ قوة ملاحظة بوش الأب وصدق رؤيته فتغير «دونالد رامسفيلد» وتغيرت الأولويات فى الإستراتيجية الجديدة .. (هل تلاحظ عزيزى القارئ أن بوش الأب أوقف الهجوم بعد تحرير الكويت ولم يواصل الزحف على بغداد للإطاحة بصدام!).

لقد انتخب جورج بوش الابن بأصوات ناخبين أرادوا عودة رئاسة بوش الأكبر وقد عزز لديهم هذا الاعتقاد فى مناظرة أول أكتوبر سنة ٢٠٠٠ بأنه يعتزم انتهاج «سياسة خارجية متواضعة» فإذا كنا أمه متكبرة فسوف يستاء العالم منا .. أما إذا كنا أمه متواضعة ولكن قوية فسوف يرحبون بنا..» تلك هى كلمات بوش الابن عند الانتخابات.. ولكن أيضاً هيهات الفارق بين الكلمات والأفعال!.

بقيت ملحوظة فى هذه النقطة وهى أن قرار «بول برايمر» بحل الجيش العراقى لم يتخذ بمعرفة مسبقة من الرئيس بوش الابن ولم يعرف بالقرار قبل اتخاذه وكان يعمله وبتنسيق كذلك «رامسفيلد» وكان متعارضاً مع توصيات لجنة «مجموعة» التخطيط التى يرأسها مجلس الأمن القومى الأمريكي!.

الاختيار المرفوض :

ثانياً : جون تاور» : – فى مؤتمر صحفى عقده بوش الأب فى صباح ١٦ ديسمبر بعد انتخابه رئيساً أعلن عن اختياره «لجون تاور» نائب مجلس الشيوخ السابق عن ولاية جورجيا كمرشح لتولى منصب وزير الدفاع .. وكان

عدد من مساعدى بوش يرفضون هذا الاختيار من بوش وخاصة « كريج فوللر» و « نيكولاس برادي» ورد بوش على هذا الاعتراض من « فوللر» قائلا «إن تاور كان موجوداً معنا فى السراء والضراء» وذلك عندما ساعد بوش ليكون عضواً فى مجلس الشيوخ عام ١٩٦٤ و ١٩٧٠ ودافع عن بوش عام ١٩٦٨ أثناء مناقشة تشريع الإسكان وكان تاور هو أول جمهورى من الكبار الذين اشتركوا فى حملة بوش الانتخابية عام ١٩٨٨ وكان من جنود الحملة الذين لم يصبهم الكلل .. ولم يندهش « فوللر» من قرار بوش لأنه كان كتوماً ولا يشارك أحدا فى كل شئ وكان يحافظ على المعلومات كأنه رجل مخابرات .. وبدأت بشاير الفشل عندما قابل «بويدن جراي» المستشار القانونى للبيت الأبيض فى حمام الرجال فى البيت الأبيض مع رئيس شئون موظفى بوش وقال له « إنه علم أن تاور له صلة بصفقات عسكرية فاسدة ..« ثم توالت المعلومات بأنه كان زير نساء ومدمن كحوليات .. وفى مساء الخميس ٢٣ فبراير صوتت لجنة الشيوخ الفرعية بأغلبية ١١ صوتاً ضد ٩ برفض ترشيح تاور كوزير للدفاع ! وفى ٩ مارس كان الرفض الرسمى بأغلبية ٥٣ صوتاً ضد ٤٧ صوتا..

موظف فى البيت الأبيض !

ثالثاً : ريتشارد تشينى «ديك تشيني» : – بعد فشل بوش فى اختيار تاور قام باختيار «ديك تشيني» لهذا المنصب الحساس وبالغ الخطورة وبعد تردد طال حوالى الشهرين الكاملين وإلى نقطة البداية مع تشينى الذى لم يكن يتحدث عن إخفاقاته فى جامعة « بيل» وأنه أخذ إجازة لمدة ستة شهور فى السنة الثانية لكى يعمل كعامل يدوى «كهربائي» فى ولاية «ويومينج» ثم عاد إلى «نيوهافن» ولكنه فى العام الأخير ذهب ولم يعد ثم فى عام ١٩٦٥ حصل على درجة البكالوريوس من جامعة (ويومينج) فى

العلوم السياسيه ثم تبعها فى العام التالى بالماجستير وكان هو وزوجته «لين» التى تزوجها فى عام ١٩٦٤ مرشحين لنيل درجة الدكتوراه من جامعة (وسكونسن) عام ١٩٦٨ عندما حصل تشينى على منحة لعام واحد جاءت به إلى واشنطن ليعمل كموظف فى الكابيتول هيل (الكونجرس) وهناك لاحظه « دونالد رامسفيلد» مدير مكتب «نيكسون» للشئون الاقتصادية وأعطاه عملاً .. وعندما عين « فورد» « رامسفيلد» رئيساً لموظفى البيت الأبيض عام ١٩٧٤ أحضر «تشيني» إلى البيت الأبيض ليعمل كنائب له ومن هنا انطلق تشينى فى مستقبله المهنى ... وكان ماضى تشينى سهلاً ولم تكن عنده أموال وقد عاش فى نفس منزله الحالى لسنوات طوال وتزوج مرة واحدة (ولكن كم تبلغ ثروة ديك تشينى الحالية ؟!) وإن كانت هناك بعض الملاحظات فهى أنه قبض عليه مرتين لقيادة السيارة وهو مخمور ووجد متلبساً بصيد السمك فى فصل غير مخصص لذلك .. ومشكلة صحية عندما أجرى عملية قلب مفتوح وتركيب أربع وصلات بالشريان التاجى وأخبره طبيبه الخاص بأنه يستطيع بعدها العمل والسفر بكل حرية والأدوية التى يتناولها ليس لها آثار جانبية تؤثر على عمله .. واتصل به بوش الأب بعد عدة مداولات قائلا: «هيا بنا نفعلها يا ديك» ورد تشينى « نعم يا سيادة الرئيس» وتم ترشيح تشينى وزيراً للدفاع وتم تمرير الترشيح فى مجلس الشيوخ والموافقة عليه .. وبدأ عمله فى وزارة الدفاع، ومع بداية العمل بدأ يظهر العين الحمراء عندما قام بتأنيب الجنرال «ولش» رئيس أركان القوات الجوية علناً وأمام الناس أجمعين وكان «كراو» رئيس هيئة الأركان المشتركة فى مكتبه بالطابق الأدنى من تشينى فى «البنتاجون» يكاد يجن غضباً ولم تكن لديه فكرة أن الوزير الجديد سيؤنب أحد رؤوس الأركان علناً ! و نجح

تشينى فى أول اختبار فى أول مواجهة مع العسكريين وثبت أقدامه فى وزارة الدفاع منطلقاً منها إلى نائب الرئيس بوش « الابن« فيما بعد..

أصغر رئيس أركان !

رابعاً: كولن باول : هذا الرجل لو تم بحث حركته الوظيفية لنال الكثير من الحيرة والتعجب .. ولكننا فى القاهرة نجد الحل بيسر وسهولة وببساطة أيضاً وهو «لقمة العيش« .. وقد بدأ حياته ضابطاً عسكرياً منتظماً ثم مستشاراً للأمن القومى فى عهد « رونالد ريجان« ثم عودة إلى رئاسة الأركان جنرال بثلاثة نجوم ثم رئيسا للأركان بعد ستة شهور فقط بأربعة نجوم ثم عودة إلى الحياة السياسية وزيراً للخارجية يتخللها مرشحاً للرئاسة الأمريكية ! وإلى ضربة البداية فى المناصب الهامة ففى ظهر يوم الثلاثاء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٩٠ حيث أسرع رئيس هيئة الأركان المتقاعد الأدميرال «جى كراو « يشق طريقة بين رجال الأمن على مدخل البنتاجون المعروف بمدخل «ويفر انترانس« وكان متأخرا عن موعد غداء خاص فى الواحدة بعد الظهر مع خليفته الجنرال «كولين باول« وبمجرد أن دخل كراو البالغ من العمر خمسة وستين عاما مبنى البنتاجون أحس بجوه الثقيل الوطأة كالعادة فقد كان كبار الضباط يسرعون فى الممر الخارجى وهم يكادون ينفجرون زهوا ! وانحرف «كراو« يمينا ثم دخل من أول باب رقم (٢– أي) ٨٧٨ حيث مكتب رئيس الأركان .. ومر من الاستقبال ثم دخل الغرفة التى عمل بها لمدة أربع سنوات قبل أن يتولى « كولين باول« هذا المنصب منذ أربعة عشر شهراً وكان كولن باول فى هذه الفترة قد بلغ الثالثة والخمسين من عمره وبذا يعتبر أصغر رئيس أركان فى تاريخ أمريكا وأول أسود يتولى هذا المنصب .. وهو فى العادة يعطى انطباعا بالنشاط والحيوية لكنه بدا متعبا

فى هذا اليوم وكان قد أعاد تصميم ديكور مكتبه وكانت النوافذ الجديدة تطل على مشهد رائع عبر نهر « بوتوماك« حيث النصب القومية .. وكانت هناك سجادة زرقاء داكنة ثمينة وأريكة مريحة وكرسى يتناسب معها مبطن بقماش أحمر داكن ذى رسوم دقيقة .. وبينما كانا يجلسان على مائدة الغداء الصغيرة عتيقة الطراز قال كولن باول مازحا « إنه كان يتمنى ألا يقبل الوظيفة ! « وسأل « كراو « قائلا : لماذا لم تحذرنى ؟ وكان كراو يعلم بأن « باول « لم يكن يعنى ما يقول إطلاقا .. وهى نوع من الشكوى التقليدية من رجل يحب منصبه الذى يعد من مناصب القمة .. وجاء الساقى من «الميس« يرتدى ستره صفراء زاهية ليتلقى طلبيهما .. وطلب الاثنان غداء خفيفا .. وفى الأشهر الأربعة السابقة كان كولن باول اشرف على أضخم عمليه انتشار عسكرى منذ حرب «فيتنام« فقد تم إرسال حوالى مائتين وثلاثين ألفا من العسكريين الأمريكيين رجالا ونساء إلى الخليج كجزء من عملية (درع الصحراء) وقبل ثلاثة أسابيع كان الرئيس بوش قد أعلن قراره بمضاعفة عدد القوات لكى يتمكن من اتخاذ الخيار العسكرى ! وكان باول قد قال « لكراو« أثناء المحادثة التليفونية التى دعاه فيها على الغداء فى الأسبوع الماضى « سمعت أنك ستدلى بشهادتك« وكان « كراو « وافق على أن يدلى بشهادته علانية فى أزمة العراق أمام لجنة الخدمات العسكرية لمجلس الشيوخ والتى يرأسها « سام نون« الديمقراطى من ولاية «جورجيا« وكان ينتقد تشكيل قوة هجومية ويريد أن يعرف هل من صميم مصلحة أمريكا تحرير الكويت؟! .ولم العجلة ؟! و لماذا لا نعطى قرارا الحظر الاقتصادى الذى فرضته الأمم المتحدة فرصته ؟! وقال « كراو« أن لدى الناس وكافة الطبقات شكوكا خطيرة حول إذا ما كان تحرير الكويت

يستحق حربا ! وهناك قلق حول أهداف الحرب وضرورتها وأهدافها أيضاً ! وقال كولن باول وكأنما يأتمنه على سر نعم : لقد أحسست بنفس الشئ وذلك بعد أن قال « كراو« أن بوش أعلن أنه لا يريد الحرب ولكنه فى الحقيقة متشوق لها لإلقاء مئات الآلاف من الجنود فى أتون المعارك.. وكان أحد هؤلاء الجنود هو « بليك« بن «كراو« نفسه والذى يعمل نقيبا فى البحرية ويتولى كتيبه قوامها مائتا رجل فى الصحراء السعودية .. واستمر «كراو« نفسه قائلا : «إننى أتعجب من هذا التعجل الظاهر لشن حرب !« وأضاف « الجميع نافذو الصبر« وإن المؤسسة العسكرية دربت جنودها ورجالها على القتال ولكنها لم تدربهم على الصبر والانتظار.. إن حربا فى الشرق الأوسط تؤدى إلى قتل الآلاف من العرب تحت أى أهداف نبيلة مهما بدت سوف تؤدى إلى نكسة للولايات المتحدة فى المنطقة إلى أمد بعيد .. هذا بخلاف الأمريكيين المحتمل مصرعهم .. وقال « كراو « مضيفا : إن الحرب تؤدى إلى الفوضى كما أنها غير مضمونة وكان « كراو « من جانبه يريد أن يطرح أسئلته : أين تشينى من كل هذا ؟! وريتشارد تشينى وزير الدفاع هو رئيس « باول« المباشر .. ورد كولن باول « سؤال صعب « ! وسأله «كراو « بصوت منخفض عما يعنى ذلك !! ورد كولن باول «إن تشينى يحتفظ بأوراقه قرب صدره كما تعلم « وسأله كراو مرة أخرى سؤالاً أخيراً ما هو موقفك من الانتشار فى الخليج واحتمالات الحرب؟.! ورد « كولن باول « : «لقد كنت أفضل نظرية وإستراتيجية الاحتواء « ولكن هذه الفكرة لم تلق القبول لا هنا .. ولا هناك! .

وهو يقصد بهنا تشينى فى البنتاجون .. وهناك ببوش الأب فى البيت الأبيض وكتم فى صدره ولم يخرجه إلا «لكراو« فقط .. وبدون تعليق لك

obeikandl.com

أن تتخيل كيف ولماذا أكمل «كولن باول» صعوده فى سلم القيادة ولكن بعد أن أستمع إلى نصيحة كراو رئيس الأركان السابق له قبل أن يغادر البنتاجون بعد شهادته حيث قال كراو «أعتقد أن هناك شيئين يصنعان رئيسا عظيما للجمهورية ويجب أن أقولها لك لأنك من الجائز أن تكون رئيسا يوما ما ! ورد كولن باول قائلا : «لا .. لا» وقال «كراو» «بل يمكن أن تكون وأريد أن أقول لك أولا لكى تكون رئسا عظيما يجب أن تكون لديك حرب وكل الرؤساء العظماء كان لديهم حرب وأعترف كولن باول ضاحكا بصحة العبارة ! وأضاف «كراو» وثانيا يجب أن تجد حربا تكون فيها ضحية هجوم« .. وهز كولن باول رأسه موافقا .. ورأى « كراو« أن « كولن باول « قد فهمه ونحن أيضاً : فهمناه .. ولكن بقى شئ واحد وبدون تعليق أيضاً هل أصحاب الإستراتيجية الجديدة كانوا أصحاب ولا بيزنيس .. ؟! لست أدري.

obeikandl.com

الفصل الرابع :

الوجوه الثلاثة للسياسة الأمريكية

توجد ثلاثة وجوه للسياسة الأمريكية وجه للمجتمع الدولى والمنظمات الدولية ووجه للحكومات والأنظمة الحاكمة والوجه الحقيقى والذى سرعان ما يظهر دونما خجل أو استحياء بعد أن يتعود العالم ويقر بالتواجد صمتا أو رعبا «خل أم عسل» طبقا «لرغبة الزبون» كما أوضحها «ريتشارد هاس» و « أوسوليفيان « كعقوبات أو حوافز فى السياسة الخارجية ، وقد جال بخاطرى كل ذلك مع رياح سبتمبر الذى تراه الأنظمة الحاكمة فى كل العالم بأنه ذكرى الكابوس فى ثورة المارد الأمريكى لتأديب العالم على جريمة لم يقترفها .وبمعنى آخر «لا يوجد ممنوع "ولكننى أرى بزاوية أخرى أن أمريكا أفاقت على شيء كانت لا تراه ممكنا ، وأراه أيضاً مرضا عاديا ومتوقعا يسمى فى العرف السياسى "غرور القمة" وقد عبر عن ذلك إفرايم هالفى رئيس الموساد الأسبق . والمولود فى لندن عام ١٩٣٤ . وذهب إلى إسرائيل بصحبة والده عام ١٩٤٨ بعد خدمة أربعين عاما فى الموساد قائلا " أذكر أننى قلت لأحد الزملاء المقربين بعد يوم أو أثنين من وقع أحداث الحادى عشر من سبتمبر بأن حرب الشرق الأوسط اخترقت شواطئ القارة الأمريكية ، وأن الولايات المتحدة دخلت حرب الشرق الأوسط وهى لن تتمكن من الانتصار على ترابها فى هذه الحرب ولذلك ستأتى الولايات المتحدة عاجلاً وليس آجلا إلى المنطقة وتشتبك مع العدو لكى تفوز فى هذه الحرب ولم أكن أعرف كيف سيتم ذلك ولكننى كنت مقتنعا بأن هذا التدخل سيحدث على الفور بطريقة أو بآخرى .... وكما يحدث فى مثل هذه الأوقات وأتت أمريكا

بالفعل وأخذت العراق ، ولكن كان الوجه الإعلامى مساندة العراق للإرهاب وامتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ، والوجه الآخر للأنظمة تهديده الجيران والوجه الحقيقى البترول بما يوضح الوجوه الثلاثة التى تلازم أمريكا من قديم الأزل ومع ذلك نصدقها أو نبدو كذلك وفى الحقيقة عند التعالم الجديد أو بعد انقطاع طويل فإن التعامل يتم بطريقة بروتوكولية مليئة بالاحترام والنظام والاستقبال اللائق والتجهيز الدقيق ، وهى فى الشكل العام أشبه بالغزل وانتظار الحبيب والخيال والرومانسية وهى تبدأ بأرضية مشتركة ولو فى الخيال أشبه بفترة الخطوبة وبعد ذلك أشبه بالزواج ، ويقول وليم أيدى الذى سجل محضر محادثات " روزفلت " الرئيس الأمريكى والملك عبد العزيز آل سعود ، رحمه الله . وعين بعد ذلك أول وزير مفوض أمريكى بالسعودية " فى العاشرة من صباح الرابع عشر من فبراير ، عام ١٩٤٥ رست المدمرة " ميرفى " فى البحيرات المرة بقناة السويس بجانب الطراد " كوينس " الذى كان يقل الرئيس من الولايات المتحدة إلى " يالتا " وأجتاز الملك والأمراء الثلاثة والوزيران المعبر ليقابلوا الرئيس الذى كان جالسا على كرسيه المتحرك على ظهر الطراد واستغرق الحديث بين الملك والرئيس ساعة وربع الساعة .. وفى الحادية عشرة والنصف كان ميعاد الغذاء قد حان فقال لى الأميرال " لاهى " اهبط أنت والملك فى أحد المصاعد إلى حجرة الطعام الخاصة بالرئيس وسأحضر أنا والرئيس فى المصعد الآخر فصحبت الملك إلى جناح الرئيس الخاص حيث كان لديه من الوقت ليغتسل ويتهيأ قبل أن يأتى الرئيس فى كرسيه المتحرك وأخبرنى الأميرال " لاهى " فيما بعد أنه وهو فى طريقه إلى الملك أضاء الرئيس النور الأحمر وأوقف المصعد ودخن سيجارتين وبعيدا عن كل شيء فهى مجامله المذهب الوهابى الذى يعتنقه الملك ولم يشأ الرئيس . وهو المدخن الشره . أن يدخن فى حضره الملك على الإطلاق وقد

حضر الغداء كل من الأمراء الثلاثة ويوسف شاهين وعبد الله السليمان والأميرال "لاهى" وكارلوس بولن أدميرال الطراد ، وبعد الغداء انسحب الجميع ما عدا الرئيس والملك ويوسف شاهين وأنا كمترجم لمحادثات استمرت خمس ساعات مجهده تدور حول كلمتين اثنين (البترول – الدولار) وكانت الأرضية المشتركة للقربى كما وصفها وليم أيدى (١) أن كليهما يبلغ السن نفسها " وأن كانت هذه المعلومة ليست صحيحة تماماً " (٢) كلاهما قائد لدولة يضطلع بمسئوليات خطيرة من دفاع وحماية وإطعام لشعبه . (٣) كلاهما مزارع . (٤) ولد كل منهما ولديه عجز جسمانى فالرئيس مجبر على استعمال كرسى متحرك والملك يمشى بصعوبة ولا يستطيع تسلق درجات سلم بسبب جروح رجليه وبمناسبة العوائق الجسمانية فقد قال الرئيس للملك " إنك أكثر حظا منى لأنك مازلت قادرا على استعمال رجليك عند سيرك ولكنى أحمل أينما ذهبت " فرد الملك " : " لا يا صديقى بل أنت صاحب هذا الحظ فكرسيك يحملك إلى أى مكان تود الذهاب إليه و أنت تعلم انك سوفت تستطيع الوصول إليه أما رجلاى فلا يعول عليهما يزدادان ضعفا يوما بعد يوم " فقال له الرئيس " إذا كان هذا هو ظنك بالنسبة للكرسى فسأعطيك واحدا حيث لدى اثنان على ظهر المركب " وصدر الأمر سريعا وحمل واحد منهما ليستقر على ظهر المدمرة " ميرفى " .. وكلما صحب الملك رفاقه إلى قصره فى الرياض أراهم حجرته الخاصة مستقرا بها كرسيه المتحرك وأشياء أخرى من البيت الأبيض .

وكان يقول الملك دائما أن هذا الكرسى من أعز ممتلكاتى فهو هديه صديقى العظيم الودود الرئيس روزفلت ورغم استخدام الملك كرسيا متحركا فيما بعد إلا أنه لم يستخدم ذلك الكرسى .

تلك كانت ملامح المقابلة للقمة الأمريكية السعودية الأولى كما وصفها

حاضرها ومترجمها الكولونيل "وليم أيدى" أول وزير مفوض أمريكى بالسعودية ، وفى عام ٢٠٠١ عاد رون ساسكند يحلل تطبيق نظرية الواحد فى المائة . التى ابتدعها نائب الرئيس ديك تشينى قائلا "ومنذ اجتماع الملك ابن سعود والرئيس فرانلكين روزفلت عام ١٩٤٥ علقت المملكة السعودية فى صفقة دفعت "فوست" إلى القول : سنحمى العائلة المالكة السعودية طالما أن النفط يتدفق واصرفوا المليارات على ما تريدون .."وكان السعوديون يعانون من القلق منذ مطلع عام ٢٠٠١ وأدركوا أن مشروع إدارة بوش الابن هو تغير دور الوسيط الصادق الذى لعبه الأمريكيون فى النزاع الإسرائيلى – الفلسطينى إلى اقل من ذلك وفى الواقع كان الرئيس قد أكد فى اجتماع مدراء مجلس الأمن القومى الأول خلال إدارته أن الرئيس كلينتون أخفق فى نهاية ولايته الثانية واظهر ليونة تجاه "ياسر عرفات" الذى افشل محادثات كامب ديفيد المثمرة فى اللحظة الأخيرة . وأضاف "أن الولايات المتحدة ستميل مجددا نحو إسرائيل" ورد (كولين باول) الجالس على بعد كرسى فى غرفة إدارة الأزمات أن هذه السياسة ستقلب رأس على عقب ٣٠ سنة من السياسة الأمريكية وأنها قد تطلق العنان لرئيس الوزراء شارون والجيش الإسرائيلى بشكل لم يتصوره الفلسطينيون فى أسوأ كوابيسهم فرد بوش " قد يوضح عرض قوى من جهة واحدة حقيقة الأمور ، (هنا بدأ يدور بمخيلتى أنابوليس وتداعياتها الغائبة الحاضرة) وقد حرص بوش الأب على استقبال الوفد السعودى الذى حضر إلى أمريكا مقدما عرضا من ثمانى نقاط فقد حافظ بوش الأب على علاقته مع السعوديين بعد خروجه من منصبه باسمه وبالنيابة عن شركته "كارلايل جروب" كما يعتنى البستان بجنس نادر من الأزهار ولذا بدأ الأسبوع بمأدبة غداء فى منزله فى تكساس فى ضواحى هيوستن وحضر بندر والأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية وكانت

بابربرا موجودة والأميرة الأنيقة هيفاء زوجة بندر وكان الحديث عن التغيير فى العالم بعد الحادى عشر من سبتمبر ولكن أوضح المحلل السياسى بأن بندر عرف الرجلين تمام المعرفة "بوش الأب" وبوش الابن وكان يعلم أكثر من أى أمريكى مطلع أن علاقتهما كانت بارده وبعيدة ولا تشبه العلاقة الطبيعية التى تربط الأب بابنه كما علم يقيناً أن الابن لا يستشير والده ، وأن هذا الاجتماع هو اجتماع خاص حضره تشينى لتذكير السعوديين بالروابط القديمة التى تجمعهم بآل بوش و أمريكا ، وعلى الرغم من ذلك كما وصف من حضروا اللقاء فقد كانت المناقشة الإستراتيجية بين بوش الأب والأمراء السعوديين مشوقة وقائمة على العالم الذى محته اعتداءات الحادث عشر من سبتمبر وكأنها جسر بين الأجيال ، وفى مطلع الدفاع عن إسرائيل أدرك بندر أن بوش الابن اطلع خبيرا قديما فى السياسة الخارجية "لن أدعم والدى وجميع أصدقائه العرب ! !" ولم تكن مأدبة العشاء مع تشينى فى الليلة التالية أفضل ، ومع غضب الملك عبد الله "الأمير وقتها" اكتفى تشينى بهز رأسه ولم ينبس ببنت شفة فقد علم يقينا عبر تقارير وزاره الخارجية أن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط أثارت سخط السعوديين وعقد اجتماع القمة العربية (عام ٢٠٠٢) فى مارس وتغيب عنه ياسر عرفات بسبب عزل شارون له وفرض حصار عليه فى منزله فى رام الله وبدأت أحداث التاسع والعشرين من مارس بما عرف بحرب الأطفال ضد الدبابات ، وعرف أن عبد الله استشاط غضبا عندما قال بوش الابن " إن شارون رجل سلام " وسأل بحنق " كيف يقول ذلك " ولم يكن يتوقع جوابا من تشينى وحاول رامسفيلد إلى جانب الجنرال ريتشارد مايرز تغيير الموضوع . وفى نهاية الأسبوع كان يوم الخميس هو موعد مقابلة بوش الابن الرئيس الثالث والأربعين للإمبراطورية الأمريكية حيث زرع بوش الأرض جيئة وذهابا ، ويتحقق من الوقت كل دقيقه فى الخارج انتظر

عدد من الصحفيين المصورين على مسافة ليست ببعيدة مع علم الجميع بان بوش الابن يكره الانتظار وبدا باص مسرعا بين حقول تكساس وبه " عبد الله " ولى العهد السعودى يدخن سيجارة بجوار السائق ، وفى الخلف جلس " كولن باول " ويندر وسعود الفيصل وزير الخارجية وبوب جوردان السفير الأمريكى فى السعودية ولم يلتق عبد الله ببوش الابن من قبل والآن يفصل بينهما ١٠٠ ياردة واعتذر عبد الله عن التأخير ورد بوش " ما من مشكلة " وقبل التفوه بكلمة عرض عبد الله بعض الصور خففت الأنوار فى غرفة مكتب الرئيس وشاهدوا لمدة خمس عشرة دقيقة فيلما كان عبد الله قد احضره يظهر الضرر المتعمد فى الضفة الغربية وأطفالا قتلى وأمهات يصرخن ثم خرج الجميع بصمت إلى الشرفة الزجاجية للرئيس للتنفيس عما شاهدوه وحمل السعوديون معهم المبادرة والتى تبناها المالك عبد الله وتقوم على دولتين واعتراف العالم العربى بدولة إسرائيل والعودة إلى حدود عام ١٩٦٧ والقدس عاصمة لفلسطين الجديدة ،(السلام خيار استراتيجى) وبعد مرور ساعة بعد الغداء هم السعوديون بالرحيل وعلامات الارتباك بادية على محياهم و شعروا أن بوش الابن لم يقرأ رزمة الحوافز التى أرسلوها إلى البيت الأبيض واكتشفوا كذلك أن تلك : الرزمة تم تحويلها إلى مكتب " ديك تشينى " ولم يحصل عليها الرئيس أبدا ولم يقرأها أبداً ! !

وقد تعمدت أن استغرق فى التفاصيل لأنها هامة هنا تحلل وتفضح نفسها فرقا تفرضه أمريكا بين نقطه البداية عام ١٩٤٥ وأحداث عام ٢٠٠١ وما تلاها ولكى يدرك أصحاب القبعات الأمريكية ما يعانيه العرب وساستهم من المسئولين الأمريكيين والوجوه الأمريكية الثلاثة طبقا للأحداث والمواقف . فمن رسالة " نيكسون " إلى الملك فيصل " البيض الأبيض ١٩٧٣/١٢/٣ " يا صاحب الجلالة " أنت دائما تقدم لى نصائح حكيمة وأنا أتذكر الآن وألاحظ أن نصائحك

كانت مفيدة وكان يجب أتباعها .. الحرب الأخيرة (أكتوبر عام ١٩٧٣) وتأثيرها فى علاقاتنا مع كثير من أصدقائنا فى المنطقة أوضحت أن الوضع الذى ظل مستمرا فى المنطقة خلال كل هذه السنوات يجب ألا يظل بدون حل .. وزير الخارجية كيسنجر خلال زيارته إلى السعودية قبل هاذ التاريخ بشهر تقريبا شرح لجلالتكم تصميمى على التحرك فى جدية لحل المشكلة العربية الإسرائيلية وأنا افعل ذلك لأن فيه مصلحة أمريكية ولكن أيضا بسبب مسئولياتنا الحقيقية نحو أصدقائنا فى المنطقة "ريتشارد نيسكون" وهذا هو أحد الأوجه ولكنه الوجه الطيب للسياسة الأمريكية عندما أوقفت السعودية ضخ البترول لأمريكا وتريد أمريكا عودة الضخ مره أخرى فماذا كتب نيكسون فى مذكراته فى كتابه الشهير "الفرصة السانحة" بخصوص الشأن العربى ونصائحه للقادة القادمين بعده (حاذروا من اتحاد مصالح العربى) فالرجل لا يتصور أبدا حدوث اتحاد كامل بين العرب ويقول "رون سسكند" المحلل السياسى الأمريكى فبعيداً عن المصافحات الحارة والكلمات المؤثرة كانت هناك دائما تلك المشكلة الجوهرية المتمثلة بانعدام الثقة و أين يكمن التحالف الفعلى بين مصالحنا ؟ بماذا كانوا يخبروننا وماذا كانوا يخفون عنا ؟ لقد اخبرنا السعوديين بطبيعة الحال عن اكتشاف خلية "المبتكر" وعن التقرير الذى يتناول خلية سعودية عاملة فى أمريكا تملك أسلحة كيميائية لكننا لم نطلعهم تماما عن كيف عرفنا ذلك ولم نخبرهم قط عن المصدر الداخلى من القاعدة فى باكستان الذى أرشدنا إلى "العيارى" ويدعى "على" لم نقو على ذلك لأننا فى قراره انفسنا لا نثق فى أصدقائنا السعوديين وهم لا يثقون فينا !! .

يوم الرئيس الأمريكى بوش الابن يبدأ بقراءة الكتاب المقدس عند الفجر

تتبعها الرياضة ، ثم تناول الفطور فالاجتماعات المقتضبة الخاصة بالتهديدات الأجنبية والمحلية مع مدير (C.I.A) و مويلر على التوالى ، أما التحليل الصعب والمعقد وفق هذا النموذج فيكون عرضا خفيفا يمر عبر مصافى " تشينى " أو " رايس " أو لا يقدم أبدا وهو انحناء جديد لأفكار تشينى التى صمدت طويلا والمنادية بحماية الرؤساء من بعض المعلومات ووضع عبء غير معهود على نائب الرئيس ليتصرف كرئيس فى إجراء تحليلات رئيسية فى السياسة الخارجية ، فما كان بوش يعرفه قبل أو عند اتخاذ قرار رئيس كان ينبغى أن يبقى سرا إلى حد بعيد وكان فريق صغير يضم " تشينى " و " رايس " و " كاردوروف " ووزير الدفاع قادرا على كسر حاجز الكتمان من خلال أولئك الذين يعرفون كلمات الرئيس أو أفكاره من خلال مصدرها الأصلى أى مويلر وولفوفيتز وماكولين وفايث ، وإن كان لديك أفكار كحاكم شرق أوسطى أو عربى أو ترتيبات تريد بحثها مع أمريكا فلا يجب أن تقابل الرئيس بوش مباشرة فلسنا فى الشرق الأوسط ولكن وجب عليك الذهاب ومعك ليمونه تشبه لعبه كرات التصادم المسلية والمهدئة وتغنى لها فى رحله الطيران الطويلة إلى واشنطن " دوخينى يا ليمونة " .. وعفوا من قله التحليل فالأحداث أكثر وأوقع .

الفصل الخامس :

مرة أخرى عن الوجوه المختلفة للسياسة الأمريكية(٢)

كتبت منذ فترة عن الوجوه الثلاثة للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وكيف تتعامل "بالوجه الأول" بقناع الحرية وحقوق الإنسان وسلامة العالم ، ذلك فى وسائل الإعلام المختلفة وداخل أروقة الأمم المتحدة وفى الجلسات العلنية لمجلس الأمن .. ولكن فى الجلسات المغلقة يدخل مندوبو الدول وتغلق الأبواب ولا ادرى ما يحدث بالداخل ولكن أحس بأنها تشبه حجرة "الفئران" مصدر الخوف والردع لدى عندما كنت طفلا صغيرا مهدداً والأطفال مثلى بدخول حجرة "الفئران" عند حدوث ضوضاء أو شغب فى المدرسة ! ! فيخرج المندوبون يتصببون عرقا وعليهم ابتسامة بلهاء وفى يد المندوب الأمريكى ورقة بالموافقة على قرارات ما أنزل الله بها من سلطان! .

الغريب أن هذه القرارات تبدأ بالبسيط ثم تتدرج حتى الاختناق وهى أشبه "بالزنى السياسى" طالما حدث مرة فما الضير من تكراره فى قرارات متتابعة ! ! ! وما على العالم إلا الإعلان دوما ودائما عن وجوب انصياع الدولة المارقة للقرارات الدولية (ما عدا إسرائيل بالطبع) وذلك كنوع من التوازن بين الحق والسطوة وفى غالب الأحيان ينسى العالم والساسة أيضا تلك القرارات ولا يبقى عند النسيان إلا جملة (ذات الصلة) فهى المنقذ من النسيان ؟! ولابد أن تكون تلك القرارات ذات كثافة هلامية تمكن السياسة الأمريكية من الحل أو الربط طبقا لاستجابة الضحية أو النوايا الأمريكية النهائية! أما " الوجه الثانى " فهو على المستوى

الحكومى للدولتين الأمريكية والضحية وفيها يتم الضغط وبطريقة مستفزة ومتعمدة لا تقبلها الدولة عادة وتتطرق إلى الحصار الاقتصادى وتجميد الأموال وربما حظر الطيران مع توفير قدر من الاحترام والتقدير للنظام المعادى (أملا فى العودة إلى الحظيرة الأمريكية) والدخول فى عالم القطبية الواحدة أو الهيمنة الأمريكية مع عدم الإفصاح بالحقيقة الأمريكية (الرغبة الحقيقيه) لما تريده أمريكا من تلك الدولة إلا فى حالة واحدة وهى الاستعداد الكامل للتجاوب من اليمين إلى اليسار طبقا للمعدل والرغبة الأمريكية .. وبعد ذلك يكون الطلب وفى أحيان عديدة لا يتم التوافق أو الاستجابة وبالتالى لا تتم المصالحة أو المصارحة إلا مع "الوجه الثالث" وهو خلف الأبواب المغلقة وقرب الضغط على "الحنجرة" فإن لم تتم الاستجابة تكون "المشنقة" ! .

وقد اتخذت مثالا سابقا للوجوه الثلاثة السابقة للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وهو العلاقة بين "السعودية" وأمريكا بطريقة عملية مباشرة اخترت لها نقطة البداية الحقيقية والفاعلة فوق الطراد الأمريكى وعلى سطحه جلس المغفور له الملك "عبد العزيز" وأمامه الرئيس الأمريكى "روزفلت " وفى المياه الإقليمية المصرية "البحيرات المرة" وقبل المقابلة بدقائق أضاء الرئيس "روزفلت" اللمبة الحمراء فى مصعد الطراد وقام بتدخين السجائر ثم ذهب لمقابلة الملك "عبد العزيز" تقديرا لمشاعره لأنه علم بأن الملك يكره رائحة التدخين ، ثم نقطة للنهاية فى المقابلة الأخيرة للملك "عبد الله" مع بوش الأب ثم ديك تشينى وفى اليوم التالى وكان صباح الخميس مع "بوش الابن" فى مزرعة "بوش": وتلك الرحلة الطويلة فى العلاقات "السعودية الأمريكية" وبالقدر الذى يسمح به المقال وكانت رؤيتى فى هذا الجزء الأول للوجوه الثلاثة الأمريكية للسياسة فى الشرق الأوسط وكنت أنوى وأرغب فى استكمال الجزء الثانى حيث النموذج

الأول من المشرق العربى وأردت أن يكون النموذج الثانى من المغرب العربى وهو (ليبيا : أمريكا) ليكون كلا المثالين من الوضوح بما يكفى للتعبير عن النظرية الأمريكية ذات الوجوه الثلاثة ، وضاعت المسافة بين الجزء الأول والجزء الثانى بأحداث عديدة وكثيرة وجب متابعتها بل واللهث خلفها بقوة دفع ربما تفقد المتابع إمكانية التأمل أو الاستيعاب والهدف وجعلتنى أذهب فى النهاية إلى محاولة الوصل أو الالتحام بين الجزءين بتلك المقدمة السابقة .. وإلى نقطة البداية فى الجزء الثانى ، "ليبيا" وجدت نفسها محاطة بعدة قرارات دولية خارجة من مجس الأمن وفى أغلبها وليدة اجتماعات فى جلسات مغلقة "حجرة الفئران" ولم تكترث لتلك القرارات فى البداية اعتمادا على معطيات دولية وإقليمية كانت ترى "ليبيا" نفسها فيها فى موقف العطاء أو بمعنى أوضح (سابق الجميل أو المعروف) ولكن مع بداية التصعيد الأمريكى والتحالف الأوروبى بدأ القلق يحوم ويقترب من الشواطئ "الليبية" وضاعت الوعود الحميمة ومعاهدات الصداقة طويلة الأمد وسط صخب الإمبراطورية وحيدة القطبية والأوضاع الدولية المتردية ومع أصحاب الصوت الدائم فى مجلس الأمن ! واشتد الوثاق ولسنوات عديدة بلغت أربعة عشر عاما تاهت معها المشكلة الحقيقية .. وذهبت "ليبيا" للبحث عن حل أو بداية للانفراجة .. وفى التاريخ العبر والإفادة .. حيث تذكر أحداث تاريخ العرب أن واجهتهم أزمة فى الصراع مع الإمبراطورية الرومانية حيث إن القائد الرومانى الذى يواجههم ويدعى "أطربون" يتمتع بذكاء حاد ومكر ودهاء لا قبل لهم به ، فذهبوا إلى أمير المؤمنين وقتها "عمر بن الخطاب" صاحب القرار والمشورة ، وكان العرب يطلقون على القائد الرومانى تحويرا للفظ "أرطبون" واشتهر "عمرو بن العاص" أيضا بين العرب بالمكر والدهاء فما كان من أمير المؤمنين إلا أن قال: فلنرم أطربون (يقصد القائد الرومانى) بأرطبون

(ويقصد عمرو بن العاص) ولننتظر ونر ! وما أريده هنا هو أن اختيار الشخص الذى يدير الأزمة وكونه مناسبا لها يختصر نصف الطريق نحو حلها ؟! وهذا ما فعلته "ليبيا" باختيار "موسى كوسا" للمواجهة مع هذه الأزمة واستطيع أن أقول أيضا إنها ترتيبات القدر ومشيئته أيضاً !! حيث كان فى مواجهته "لونك" وهما زملاء دراسة .. وفى جامعة واحدة أيضاً !! فما هى خلفية الرجلين ؟

ولد "موسى كوسا" فى طرابلس الغرب فى ليبيا من عائلة مهمة وكان يتابع دراسات شهادة عليا فى علم الاجتماع من جامعة "ميتشجان" عام ١٩٧٣ وقدم أطروحته بعد بضع سنوات ولم تمنح له الشهادة واحتفظ بها فى الجامعة (ويبدو أن الأحداث السياسية أثرت فى ذلك) حيث إنها كانت دراسة بحثية عن الزعيم الليبى "معمر ألقذافى" وكانت حجة المانحين أنها لم تكن تحليلاً قاطعا (هكذا ذكروا) على الرغم من وجود ٢٠٩ صفحات من ملاحظات هامشية وكانت مجرد "بحث" ثم توجه "كوسا" من "لانسينج" إلى "ليبيا" وبحلول عام ١٩٨٠ ترأس الوفد الليبى إلى بريطانيا سفيرا لبلاده وبعد قصة نسجتها الحكومة البريطانية عن حديث له فى مقابلة مع مجلة " تايمز " اللندنية فى حديث صحفى مع صحفى لها حول دعم " ليبيا " للجيش الجمهورى الايرلندى وأشياء أخرى تم على إثرها طلب استبعاده من " لندن " وتولى منصب نائب رئيس الاستخبارات الليبية ثم جاءت واقعة " لوكيربى " فى ديسمبر عام ١٩٨٨ ثم أحداث الطائرة الفرنسية " يو. تى . أى " ٧٧٢ فوق النيجر عام ١٩٨٩ وما لبثت الاستخبارات الفرنسية والبريطانية (هكذا يقول التقرير الأمريكى) أن اتهمت " كوسا " بضلوعه فى هذه العمليات .

أما بونك زميل " كوسا " في" اسبرتان " والذى سبقه " كوسا " بعدة

سنوات وجمعتهما هواية تشجيع كرة السلة .. ودائما الحماس فى متابعتها فقد تخرج من الجامعة عام ١٩٦٧ ولمدة عقدين من الزمان أمضى بونك هذه الفترة يجوب العالم لمصلحة (C.I.A) وفى العالم العربى على وجه الخصوص وارتقى بسرعة سلم الرتب فى الوكالة حتى عام ٢٠٠٠ احتل منصب نائب رئيس مكافحة الإرهاب التابع لـ (C.I.A) وبفضل دقته وموثوقيته اتخذ بونك ومعه نائب المدير " جون ماكولين " من مزرعة بوش مقرا لهما فى شهر سبتمبر أى قبل الانتخابات الأمريكية بشهرين لإطلاع الرئيس المرشح الجمهورى على أسرار الدولة . ثم حدث الاتصال الأول فى عام ١٩٩٨ وقبل استلام جورج تينيت منصب مدير (C.I.A) سافر مع جون ماكولين إلى أحدى الدول العربية(السعوديه) ولقاء أحد السياسيين بها(الأمير بندر) فى منزله وشبهه ماكولين بعالم ديزنى الساحر وأخبرهم السياسى العربى بأن ليبيا تريد الحديث معهم حول انفراجة للأزمة من خلال حديث جمعه مع أحد قادة ليبيا الكبار .. وبعد عام تسلل موسى كوسا إلى جنيف والتقى بونك هناك بعد عقدين من الزمان من الزمالة بالجامعة !! واتسمت هذه العملية بالسرية التامة وظهر "الوجه الثانى": بخلاف "الوجه الأول" فى المحافل الدولية والأمم المتحدة وقيل إن الصمت كانت له مبرراته ويقول التقرير الأمريكى (إن أمريكا كانت تعانى من نقص شديد بل وشديد جدا فى المعلومات" .. وبعد خروج موسى كوسا من لندن بناء على رغبتها "وبالوجه الثانى" نزل موسى من على متن طائرة قى مطار "هيثرو" وكان وفد فى استقباله يتكون من كبار المسئولين فى السلك الدبلوماسى والاستخبارى البريطانى والأمريكى أيضاً !! وكان معه عدة ملفات ضخمة وتوجهوا عائدين إلى منزل السياسى العربى الأنيق (الأمير بندر) واستقبل السياسى العربى ضيوفه بمن فيهم بونك ورافقهم نزولا إلى

ردهة فخمة وانتظرهم بكامل أناقته وابتسامته.. وبدأ الحديث "موسى كوسا" قائلاً: "مذهلون هم أولئك الاسبرطيون "قالها موسى وضحك "بونك " قائلا : نعم .. وقتا طويلا منذ أيام "ماجيك" (يقصد ماجيك جونسون) وكانت هذه المقابلة بعد مرور شهر واحد على أحداث الحادى عشر من سبتمبر وثلاثة أيام على القصف الأمريكى "لأفغانستان" وتطرقت الاجتماعات الصباحية بين "كوسا" ووليم برنز" مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط إلى التعويضات التى ستسدد إلى عائلات الضحايا ودفع تعويض مقابل نزع السلاح الكيماوى والذرى والبيولوجى . وكان "كوسا" يصغى بانتباه شديد .. فحتى الآن مازالت الأمور والنقاط فى حيز المتوقع .. ولكنه أيضا كان يخشى من المفاجأة بطلبات جديدة مع ظهور "الوجه الثالث" والخشن خلف الأبواب ولكن كانت المفاجأة تتوافق مع "الوجه الثالث" للإمبراطورية الأمريكية ! وقطعها "موسى كوسا" بعد الظهر ملطفا للجو فتحدث عن " ماتن كليفر " حارس نقطة فريق "ميتشجان" عام ٢٠٠٠ وكيف سيطر على مباراة البطولة فى دورى كرة السلة للجامعات الأمريكية (N.C.AA) وأهدى الجامعة أول لقب وطنى تفوز به منذ أن تفوق "ماجيك" على "لارى بيرد" وولاية إنديانا عام ١٩٧٩ .. ويقول التقرير الأمريكى (كانت أمريكا تعانى من نقص شديد فى المعلومات وسط توقع موجه ثانيه من الاعتداءات الإرهابية ..!!) ثم وقعت المفاجأة غير المتوقعة قال "بين" اسمع يا موسى يمكنك أن تضع لوكيربى وراءك !! نريد حل الموضوع وأنت تريد حله ويجب أن نتخطاه الآن !!وتنفس "موسى كوسا" الصعداء .

لقد انتظر كوسا سنوات طويلة ليسمع ما قاله "بونك" لتوه فرد سريعاً "نحن أيضا نريد حل الموضوع يا" بينى "وعندما أصبحت نبرة" بونك "جدية للغاية فقال (مظهرا الوجه الثالث للإمبراطورية خلف الأبواب)" كل شيء تغير بعد

الحادى عشر من سبتمبر ! أمران أساسيان نحن نريد منكم التخلى أيضاً عن أسلحة الدمار الشامل التى تملكونها ! ولكن الأهم من كل هذا سنحتاج إلى المساعدة فى محاربة الإرهاب وبعد تبادل بعض المعلومات قال بونك "فلنجتمع مجددا قريباً" واكتفى موسا كوسا بالابتسام .. ومن هذه النقطة كانت بداية الانفراجة وكانت المحادثات والمفاوضات طويلة وعسيرة لفترة طويلة جيئة وذهابا وأكثرها صعوبة فى ربيع ٢٠٠٣ حيث كان يفترض رفع العقوبات من الأمم المتحدة فى شهر سبتمبر من ذلك العام ولكن أمريكا أرادت أن تظهر "الوجه الثانى" بمزيد من التنازلات قبل رفع عقوباتها الاقتصادية أحادية الجانب وتريد من ليبيا تسليم أسلحتها وإعلان قطع علاقاتها بالإرهاب وطبقا "للوجه الأول" إطلاق تصريحات عامة وقوية تعلن فيها "ليبيا" تبديل نياتها وسلوكها وأن من دون ذلك ما كانت الولايات المتحدة لتتزحزح وبالنسبة لليبيا أعلن الزعيم الليبى "معمر القذافى" بأنه ما لم تنضم أمريكا إلى الأمم المتحدة فى رفع العقوبات فلن يدفع التكلفة الكاملة للتسوية ! وخلال الصيف جال "ستيف كابسى "الذى حل محل" لونيك "ونظيره البريطانى" مارك آلن "فى جولة مباحثات إضافية مع "موسى كوسا" والقيادات الليبية ذاتها .. والحديث طويل ولكن وجب الإشارة بقدر ما يسمح به البحث .. وانتهت برغبة " بوش" ارتداء "الوجه الأول" معلنا ومكررا الشيء الذى طالما أراد قوله للتعويض عن التجربة العراقية المتداعية ما يشكل نغمة مهمة " لإنقاذ ماء الوجه " أن القذافى سلم سلاحه نظرا لما أحدثه الاحتياج الأمريكى للعراق على حد تعبيره وكانت نصيحة المستشارين غير ذلك تماما مصححين له الوضع بكيف يستقيم ذلك التصريح والمحادثات كانت منذ فترة طويلة تربو على عشر سنوات ! ! وكان هذا خطأ ولم تكن مسألة سوء تصريح وكما يقول التقرير الأمريكى كان الجميع يعلم

أنهم يكذبون فيما سمى " بالمسرحية المزدوجة.

عودة إلى الهدف من استكمال البحث السابق نحو الوجوه الثلاثة للسياسة الأمريكية بشقها الثانى فى صورة من المغرب العربى بعد تحليل الشق الأول من الصورة من المشرق العربى بظهور حكم جديد ووجوه جديدة وربما شكل جديد للسياسة الأمريكية بعد تصريحات " أوباما " الرئيس الجديد للولايات المتحدة بتحديد أهداف بعينها ونظره جديدة للشرق الأوسط ومشكلته الأزلية أو التى بدت كذلك وهى المشكلة الفلسطينية .. الإسرائيلية وبشكل عام مشكلة الشرق الأوسط بعد تداعيات أحداث مجزرة غزة وإعلانه عن مبعوثه الجديد للشرق الأوسط وسط توجهات جديدة ! ! وشخصيات جديدة (ربما) فى حلبه السياسة الدولية .. وقد حاول علماء النفس والاجتماع والباحثون فى الشخصية وضع تعريفات لهذا المصطلح (دعوة إلى الفهم) ولم يصلوا إلى تعريف واحد مقبول منهم جميعاً ! وقد أورد " جوردون ألبورت " فى كتابه " الشخصية " تعريفا أو معنى مختلفا للشخصية وبعض هذه المعانى " لاهوتى "وبعضها " فلسفى " وبعضها اجتماعى وبعضها " سيكولوجى " ويذهب غالبية الباحثين إلى أن لفظ " Personality" بالانجليزية أو " Personalite" بالفرنسية مستمد من لفظ " Persona" " برسونا " فى اللاتينية القديمة ويتفق الجميع على أن لفظ " برسونا " يعنى القناع ولقد ارتبط هذا اللفظ بالمسرح اليونانى القديم إذ اعتاد ممثلو اليونان والرومان فى العصور القديمة ارتداء الأقنعة على وجوههم لكى يعطوا انطباعا عن الدور الذى يقومون بتمثيله وفى الوقت نفسه لكى يجعلوا من الصعب التعرف على الشخصيات التى تقوم بهذا الدور وهذا ما يحدث بالضبط فى السياسة الدولية أقنعة وشخوص بقدر ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات فى الساحة السياسية وفى عالم القطبية الواحدة وخاصة الإمبراطورية الأمريكية

.. وإن اختلف العلماء حول تأثير الوراثة والجينات والأصول فى التشخيص والتعبير والتصرف وبأنها المؤثر الأصلى فيها إلا أن علماء آخرين قالوا بل الظروف البيئية هى المتحكم الأصلى فى التشخيص والتصرف ! وإن كانت أرى أن الاثنين معا وبنفس التأثير عن قناعة شخصية وعقائدية أيضا حيث يقول حديث شريف " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " أى أن هناك تأثيرا للأصول والجينات ويقول الله تعالى " ونفس ما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها " صدق الله العظيم فالظروف البيئية والرغبة الإنسانية لها تأثير أيضا ومن هنا ومع العصر الجديد أو الحقبة الجديدة لزعامة أمريكية جديدة لا نستطيع أن نبتكر أو نرجح الاحتمال ولا نملك أيضا إلا الانتظار وعسى أن يكون خيراً ! ! .

ملحوظة : يقال فى أساطير العرب (و على غرار كليله و دمنه) أن أسدا جائعا لم يجد أمامه غير فأر فقال له اعبر بى طرف النهر الأخر ظنا منه أن الفأر لن يستطيع بطبيعة الحال أن يحمله و بالتالى يكون عقابه التهامه و كافح الفأر و عندما قرب من منتصف النهر أدرك الأسد إمكانية الخسارة فتذمر من الفأر الذى يحدث غبارا يضايق عينيه ؟؟ فتعجب الفأر قائلا أى غباراً يا سيدى وسط النهر فرد الأسد قائلا أن عنادك هذا هو الذى يجعلنى ألتهمك) انتهت كليله و دمنه و فى الواقع ....قدمت ليبيا معلومات استخباراتيه وأكلتها أمريكا وأسلحة كيميائيه بلعتها أيضا و أسلحة ذريه غاصت فى بطن أمريكا ثم ابتلعت ليبيا وبترولها وأرصدتها وكل ذلك بسبب عنادها ؟؟ وعدم فهمها للوجوه الثلاثة للسياسة الامريكيه وكليله ودمنه أيضاً ؟؟

obeikandl.com

الفصل السادس

الصراع الدولى .. من القاع إلى القمة

فى أحدى المسرحيات الشعرية)الفتى مهران) حدث الثائر أمير البلاد قائلاً إنى لأعرف ما اتجاه الريح من مسرى السحاب .. إنى لأعرف من شفيف الكأس ما نوع الشراب؟!.. وهكذا ظننت نفسى فاعتقدت بأننى أديت الواجب وبلغت الرسالة وأديت أمانة الكاتب بإلقاء الضوء على الإستراتيجية الجديدة مسقطاً الاهتمام بأولويات تطبيقها وبشكل عام قدر طاقتى وليساعدنى المفكرون والكتاب بمصابيح المعرفة وأضواء التحليل ولكنى وجدت من عدة محاورات أن الأمر يحتاج إلى المزيد من التعمق والتحليل ، وإن كان فى البداية و إن كان الصراع السياسى قد قفز إلى الأولوية الأولى فكان من اللازم أن ننظر إليه من الداخل لندرك المعانى والتأثير من الخارج ومن هنا وجدت من الواجب أن نحدد التعريف العلمى والتوصيف اللازم قبل الدخول إلى العمق ..؟! .

الصراع الدولى يعتمد فى قاعدته الأولى بين الكبار والصغار أو بين الدول النووية والدول الأخرى على نظرية الردع وهى فى أبسط تعريفاتها تعنى التخويف بالقوة النووية دون استخدامها.. ولكن يضيف هنا عراب السياسة الأمريكية هنرى كيسنجر " بأنه يجب أن يتيقن الخصم ويدرك تماماً بأنه لا يوجد مانع لدينا من استخدام كافة الأسلحة لتحقيق هدفنا " وهنا فقط يحقق الردع هدفه ؟ أما القاعدة الثانية فهى تعتمد على نظرية " الوفاق الحتمى بين الكبار " وإن كان الردع وهو الأساس فى الصراع الدولى فان إمكانية الرد بعد تقبل النظرية الأولى

وهى تسمى هنا بالمعنى الدارج " الانتحار المتبادل " وهى تعتبر بين الكبار " حرب المائة ثانية " ..؟! وهى الفترة الزمنية التى تسبق انفصال الرؤوس النووية عن حواملها الدافعة وتحتاج إلى أشعة ليزر بقوة ٦٠ ميجاوات ومرايا عاكسه بقطر ١٥ متراً ، ٨٠٠ طن من الوقود ورغم ذلك فهى أرقام نظرية لعدم توفر شروط المثالية والمزايا النموذجية فى الكمال دونما خطأ ولو صغير ..؟!

ولو أدركنا أن فى روسيا ٦٢ غواصه نووية قاذفة للصواريخ و١٦١٨ صاروخا داخل الدشم المحمية وفى أمريكا ٤٤ غواصه نووية حاملة للصواريخ و ١٠٥٤ صاروخاً باليستيا فى الدشم داخل الولايات المتحدة وقاذفات بعيدة المدى مجهزة للقذف النووى تبلغ ٢٣٠ طائرة وذلك بالإضافة إلى المنظومة الدفاعية الأمريكية المؤلفة من ١٨ محطة فضائية مزودة كل منها بليزر بقوة ٥ ميجاوات ومرآة عاكسة بقطر أربعة أمتار والوحدة الواحدة قادرة على تدمير خمسة عشر صاروخاً روسياً خلال المائة ثانية المتفق عليها ..!

مع العلم أن فترة الإنذار المتاحة من الأقمار الصناعية تبلغ ٣٠ دقيقة وتبلغ ٢٠ دقيقه إذا تم الإطلاق من الغواصات النووية ومن هنا فإن الصفوة الحاكمة فى أوروبا واليابان تتفهم تماماً أصول اللعبة وتدرك أيضاً كيف يتم إدارة الصراع ..؟!ّ .

ومقولة " إنهاء الوفاق بين الدولتين الأعظم " وإن استخدام بمهارة لتصحيح وضع أو تحقيق مصلحة خاصة إلا أن الوفاق موجود وإجبار سواء كان ذلك عن رغبة أو رهبة و فرض عليهما احترامه وتنفيذه وتطبيقه فلا حيلة لهما أبداً فى الفكاك منه ولا مجال لهما فى كسر قواعده وقوانينه .

و من هنا نجد أن نظرية الردع لها وجهان وجه مع الدول النووية ووجه نحو الدول التقليدية فى التسليح وطالما يتحمل كل أمريكى ٥١٠ دولاراً للتسليح وكل

فرنسى يتحمل ٣٤٩ دولاراً وكل بريطانى يتحمل ٣١٤ دولاراً ويوجد لأمريكا ٢٠٠,٠٠٠ فرد فى أوروبا ، ٣٩,٠٠٠ فرد فى كوريا الجنوبية ، ٤٤,٠٠٠ فرد فى اليابان ، ١٤٠ ألفا فى العراق وبريطانيا لها ٥٥ ألف خارج البلاد ولفرنسا ٣٤,٠٠٠ فهل كل ذلك لكون أمريكا أو فرنسا أو بريطانيا تتحسب لغزو تقليدى أو حماية أمن قومى ؟!

وأقول بكل ثقة وفهم ليس من المعقول ذلك ولن يتحمل المواطن فى هذه الدول ذلك الإنفاق والغربة بل والتضحية بدون مقابل ؟!

والمقابل المعقول والمدرك أن ذلك فى إطار نظرية العرض والطلب والإنفاق بغرض الاستثمار وباختصار فى زمن العولمة فإن المقابل هو الاستثمار لكل هذه الإنفاقات والتضحيات وبالتالى أيضا فى الحصول على نسبة أرباح معقولة لرفع مستوى المعيشة ولابد أن تأتى كما قلنا ليس من دول الوجه الأول (بين الكبار) ولكن الدول الأضعف للحصول على المواد والموارد الأولية وبأى غطاء ليستمر النمو الاقتصادى فى المستوى المطلوب وتستمر أيضا صناعة السلاح التى تعتبر من أهم الصناعات الاستثمارية فى هذه الدول المتقدمة ؟!.

ولكى نحدد الموقع والمكان والمكانة أيضاً عزيزى القارئ فلابد من الإبحار من القاع إلى القمة أو محاولة التقاط خيط الأحداث من البداية أو كما تعودت أن أقول من أول السطر .. حيث يقول وليم بيرى وزير الدفاع الأمريكى الأسبق : " أنه طوال أواخر سنه ١٩٩٤ وأوائل ١٩٩٥ كانت هناك مناقشات داخل إدارة " كلينتون " بشأن توقيت توسيع حلف الأطلنطى ولم يكن السؤال ينبغى تأجيله إلى وقت لاحق .. وكذلك كان التخمين السابق لأوانه بشأن من يصبح عضواً فى الحلف الأطلنطى ؟! وأن ذلك سوف يضر بالشراكة من أجل السلام وينشر عوامل التفرقة بين أعضائها .

فقد كان الحلف يمر بأزمة هوية ويبحث عن دور جديد لقدراته الدفاعية المشتركة التى لا مثيل لها ولذا كان توقف الشراكة البرجماتية مع روسيا عاملا ضمن عدة عوامل تدعو إلى التمهل فى توسيع حلف الأطلنطى .. وبحلول الذكرى الخمسين لانتهاء الحرب العالمية الثانية ثم الإعلان عن توسيع الناتو .. للجنة (جور – تشرنوميردين) ذقنا من جديد بأنفسنا طعم استنكار روسيا لتوسيع الناتو " ... وفى اجتماع بالبيت الأبيض فى المكتب الشخصى للرئيس ضم وليم بيرى وآل جور وتالبوت ووزير الخارجية وارين كريستوفر ومستشار الأمن القومى " انطونى ليبك " ونائب مستشار الأمن القومى " ساندى بيرجر " والرئيس " كلينتون " نفسه حاول وليم بيرى تأجيل قرار توسيع الناتو ولكن الغلبة لم تكن له : " وبحلول أكتوبر سنة ١٩٩٥ كان التعامل العسكرى بما يسمى الشراكة البرجماتية قد وصل إلى أدنى درجاته وطالبنا عقد اجتماع مع " جراتشيف " وزير الدافع الروسى لمناقشة دور روسيا فى قوة حفظ السلام فى البوسنة على الرغم من أن القوات العسكرية الروسية وإن لم يكن هناك ضرورة عملية لها " الوفاق الحتمى " فقد كانت أمريكيا وحلفاؤها فى الناتو قادرين على القيام بالمهمة ولكن كانت رغبتنا سياسية فى المقام الأول ولعودة العلاقة الأمريكية الروسية إلى القريب من العادى واختار جراتشيف " جنيف " كموقع محايد للتفاوض .. وحملتنا الطائرة بيونج ٧٤٧ العملاقة من قاعدة أندروز الجوية فى طريقنا إلى جينيف من اجل لقاء جراتيشف " وتسمى هذه الطائرة فى أمريكا بطائرة " يوم القيامة " وتحوى هذه الطائرة الحربية غرفة اجتماعات ومدرجا وشاشة عرض صور ومنصة لتقديم بيانات رسمية وخرائط ملونة ووراء المدرج توجد حجرة العمليات حيث توجد صفوف مقاعد القادة وكل منها يواجه منصة تحكم مزودة بأزرار ومفاتيح التحويل وشاشات وتليفونات لتوجيه تدفق

المعلومات من الأقمار الصناعية وبث الرسائل خلال الحرب النووية .

أما فى الرحلات الدبلوماسية فإن حجرة العمليات تستخدم كمكتب لكبار المسئولين و وراء حجرة العمليات يوجد جناح اتصالات حيث يعمل عدد من الموظفين على مجموعة اللاسلكى ومعدات الاتصال بالقمار الصناعية وأجهزه التليفون والفاكس وهى مصحوبة من أجل إرسال شفرات فى اتجاه واحد إلى القوات النووية للانطلاق أو عدم الانطلاق ولكن لتحسين القوى ادخل عليها بعد الحرب الباردة أحدث وسائل الاتصال بالكلام الواضح أو بالرسائل المشفرة ويستخدم بيرى كابينة المقدمة المعدة أصلا للرئيس أو من يحل محله فى حالة الحرب النووية من أجل الإعداد للمفاوضات والعلم مع مساعديه وتوجد عشرة آسرة خفيفة للراحة من الإرهاق فى العمل ويوجد على جدار الغرفة الخاصة بالاجتماعات خريطة تتضمن قائمة بخطة انتقال الرئاسة المحدد فى الدستور الأمريكى وقانون مداولة السلطة الرئاسية وذلك استعداداً لاستخدامه فإن لم يظل الرئيس على قيد الحياة ليركب الطائرة أثناء الحرب النووية فإن طاقمها يعود إلى الخريطة ويبحث عن الخليفة الحى التالى والذى ينبغى أن يصبح رئيسا ويشرع فى إعطاء الأوامر اللازمة وكان خط الخلافة يمتد من نائب الرئيس آل جور إلى رئيس مجلس النواب " نيوت جنجريتش " ثم السيناتور " ستروم تورموند " من ساوث كارولينا الرئيس المؤقت لمجلس الشيوخ ثم إلى أعضاء مجلس الوزراء ووزير الخارجية " وارين كريستوفر " ثم وزير الخزانة " روبرت روبين " ثم وزير الدفاع " وليم بيرى " ثم النائب العام " جانيت رينو " وذلك تبعاً للموقع فى مجلس الوزراء .. " أليس كل ذلك بدافع للعمل بصورة تعاونية مع العسكريين الروس وكل ذلك يذكرنا بالمدى الذى ابتعدنا عنه من فترة الحرب الباردة وعدم الانزلاق إلى تلك الأوضاع مرة أخرى ..؟! " وعندما هبطت

الطائرة فى جنيف ، وفى قاعة الاجتماعات تكلم كل من الوزيرين على الفور فى النقطة الرئيسية ، فقال بيرى إن قوة السلام فى البوسنة يجب أن تكون تابعة لحلف الأطلنطى لأسباب عسكرية ، ورد جراتشيف على الفور قائلاً : " إنه لا يمكن أن تكون قوة لحلف الأطلنطى وأن روسيا لن تقبل ذلك " وضغط على رقبته بيديه قائلاً " إن هذا ما سيحدث فى موسكو لأى روسى يقبل بهذا الهوان .. ولذا فإنك تقبض على رقبتى يا دكتور بيرى ؟ " ثم هدد جراتشيف بأن روسيا لم تعد تستطيع أن تنتظر ما يحدث حولها وأنه يوجد عرض على مكتب الرئيس بورس بيلتسين بخيارين وفقا لأحدهما فإن روسيا سوف تتجاهل ببساطة الحكم ألتقييدى فى اتفاقية الدفاع الخاصة بالأسلحة التقليدية أو بإعلان إلغاء معاهدة القوات التقليدية بالكامل ، وأضاف جراتشيف إلى تشاؤمنا منه وواصل حديثه فأعلن أنه لن يتعاون مع برنامج " نان لوجار " الجديد الذى يقترحه البنتاجون للمساعدة فى حماية الأسلحة النووية الروسية من الإرهاب والسرقة التى تسبب أرقاً للأمن القومى لدى أمريكا.

ولكن أثناء قمة هايدبارك بين كلينتون و يلتسن بدأ أن الروس يريدون أن يعثروا على حل وتم الاتفاق كما رآه يلتسين وهو أن الحد الأدنى هو أن تقوم روسيا بمهام غير قتالية خارج إطار قيادة حلف الأطلنطى بشرط أن تسمى هذه المهام " عمليات خاصة " حتى لا تبدو أمام العالم أنها عمليات ثانوية ثم يبحث وزراء الدفاع الحد الأقصى الذى يمكن بلوغه فى هذا الإطار ووافق كلينتون ؟

عزيزى القارئ تلك كانت عينة البحث والاختبار من القاع أو من عمق الصراع الدولى واعتماده على " نظرية الردع " فى القمة ومع الدول الكبرى إنها " الانتحار المتبادل " أو الوفاق الحتمى و لكن مع الصغار يمكن المناورة و تبقى

المصلحة فوق الجميع .

والرحلة من القاع إلى القمة أو من العمق إلى السطح تستلزم لقاء آخر أكثر تفصيلاً وتوضيحا ولكن يستلزم معها تحديد المحل والموقع ولو بدقة محدودة ، ومؤقتة حيث كنت فى مقابلة قريبة مع الأخ أحمد قذاف الدم منسق العلاقات العربية الليبية وكنا نتحاور حول الأولويات الجديدة التى تغيرت فى الإستراتيجية الأمريكية والغربية الجديدة وكيف صعدت أولوية الصراع السياسى من القاع إلى القمة وتحولها إلى الأولوية الأولى بعد أن كانت الثالثة وكنت أتحدث بتفاؤل وأعترف أيضا بأن تفاؤلى لم يكن مصحوبا بأى حذر فى أن الصراع السياسى سوف يوفر عدة أقطاب وعدة لاعبين أساسيين فى السياسة الدولية نتيجة لتغير القاطرة والوقود أيضا وأن ذلك سوف يعطينا حرية حركة أكبر ومناورة أسهل لتحقيق بعض الأمن والدفاع عن النفس وحرية التعبير على الأقل طالما أمنا شر القنابل العنقودية المحرمة دوليا والمحللة أمريكياً وبريطانيا ولم يذكر لها أثر فى الأمم المتحدة .. أليست الحروب تحت رعايتها ؟ .

وبعد أن انتهيت من التعبير عما يجول فى نفسى وخاطرى فإذا به يقول لى : إن لليبيا تجارب سابقة مع الحالتين : " الحالة الأولى وهى التدخل العسكرى المباشر " والحالة الثانية وهى الصراع السياسى أثناء فترة الحصار وما عرف بمشكلة " لوكيربى " واستطيع أن أقول لك إن الصراع السياسى أخطر وأشد وأعمق أيضا من التدخل العسكرى المباشر وذلك لأن التدخل العسكرى المباشر هو تدخل محدود فى التأثير والحجم والمساحة المعرضة له والمدة الزمنية لتواجده ويتبقى باقى الجسد ويعنى " الأمة " سليما متعافى للمقاومة والتصدى وفرض الإرادة الشعبية أيضاً والعراق مثال على ذلك ؟! أما الصراع السياسى فهو خانق وعميق وغير محدود المساحة أو المدة وهو مستمر ومتشعب

ليصل لكل أطراف الجسد الشعبى وغير محجم بشكل أو وضع معين لمحاربته أو الشعور بالانتصار فى موقعة محددة ليشعل ضوء الأمل للاستمرار فى المقاومة وتحقيق الانتصار النهائى ولا تستطيع تحديد أو طلب أو توقع مساعدة خارجية لكونه موتاً بطيئاً وغير مدرك على المستوى الدولى أو حتى المحلى وهو موت ليس بطيئاً فقط ولكنه أبطأ من أن يدرك إلا فى مراحله الأخيرة أو بمعنى آخر هو سرطان السياسة الدولية الجديدة ..! .

واستمعت بإنصات وتدبر ولملمت أوراقى متعللا ومذهولاً ومتحيراً وشبه مقتنع بما سمعت وفى أثناء العودة بالسيارة ظللت أفكر :

هل قطار السياسة " الإستراتيجية الجديدة " وقف أمام محطة الصراع السياسى بالفعل ...؟!.. أم أن قطار الصراع السياسى انطلق فوق القضبان ولا يعرف بالضبط أمام أى محطة سيقف ؟.

لست أدرى ؟! وحمدت الله أن السائق هو الذى يقود السيارة ولست أنا .

ملحوظة : ما كنا نتحدث عنه هو التدخل العسكرى المحدود أو الصراع السياسى و لم يكن يجول بخاطرنا الابتلاع الكامل للفريسة شاملا التدخل العسكرى (الاجتياح لكل الأرض و الموارد) و هنا يكون الواقع اغرب و اشد من خيال الكاتب أو السياسى .

الفصل السابع :

السياسيون يتحمسون للحرب والعسكريون يفرون منها!

قال الرئيس الأمريكى « جيمى كارتر» عام ١٩٨٠ فى خطاب له : «إن أى محاولة من أى قوى خارجية للتحكم فى الخليج سوف ينظر لها بأنها هجوم على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية وأن مثل هذا العمل يجب أن يصد بكل الطرق الضرورية ويشمل ذلك القوة العسكرية» ..

ويبدو أن مقولة « كارتر » فى أمريكا تعتبر وثيقة يستند إليها ، أو قانونا وجب التزامه، أو نظرية علمية الخروج عليها خروج على المألوف العلمى . وهناك مقولة « إن البنتاجون ليس صاحب قرار الحرب إلا إذا كان البيت الأبيض يترك له ذلك، فالبيت الأبيض فى النهاية هو صاحب هذا القرار، وهذا مثير للدهشة أن يتحمس السياسيون للحرب، وأن يسعى العسكريون إلى تجنبها، خاصة بعد أن تحولت الحرب إلى وسيلة سهلة للحصول على مكاسب سريعة ! .

ولكى يصل « بوب – وود « الصحفى فى صحيفة « واشنطن – بوست « من صحفى مغمور إلى أشهر صحفى فى العالم بعد أنكشف فضيحة « وترجيت« وأخرج الرئيس نيكسون من البيت الأبيض ، لم يصل « بوب– وود« إلى هذه النتيجة إلا بعد لقاء مع ٤٠٠ مصدر سياسى وعسكرى فى إدارة « بوش« وذلك بالإضافة إلى استدعاء ما بقى فى ذاكرته عن «البنتاجون« بعد خدمة منذ ٢٦ عاما كضابط بحرى قبل أن يتحول إلى صحفى شهير، فليست القمة والشهرة

فى عالم الصحافة إن كانت حقيقة، إلا نتاج جهد خارق وحصاد لجرعات من الألم والمرارة، وربما ضيق الجدران وظلام الليل.. والنهار أيضاً ! ففى هذه البقعة يتساوى الليل والنهار فى صفة الظلام، لكنه مع ذلك يحقق مقولة « نابليون« الشهيرة « صحافة بلا دولة خير من دولة بلا صحافة « !!! ففى أثناء اتخاذ القرار فى حرب الخليج كان « بوش« الأكثر عنادا فى تلك الأزمة، فرئيس أركانه ومستشاره العسكرى والجنرال الأول فى إدارته « كولين باول« كان لا يريد الحرب، وكان يفضل عليها الاستمرار فى الضغوط الاقتصادية لإجبار النظام العراقى للاستجابة للمطالب الأمريكية، لكنه فوجئ بأن « بوش « يسبقه فى قرارات الحرب ويعلنها قبل أن يستشيره، ولكن كيف حدث هذا ؟! لقد ظهرت الوثائق ولم يعد هناك طلاسم أو أسرار على المحللين أو وإلى نقطة البداية.

أثناء الإعداد للحرب واتخاذ القرار ذهب الأمير «بندر بن سلطان« السفير السعودى السابق لدى أمريكا وقابل « باول « وقال له : ما هى رؤيتك للموقف وتوصياتك ؟ فقال « باول « ليست لدى رؤية ، إن الأمر متروك للرئيس ، لكن بندر ضغط للمرة الثالثة قائلاً : بوصفك مستشاراً سابقا للأمن القومى ورئيسا للأركان حاليا، كيف تنظر إلى الأمر الآن ؟! « أفصح يا كولين « ، وقال « باول « نظريا لو سئلت إذا كان يجب علينا أن نذهب إلى الحرب، لقلت « لا« ولكن لو فرض على الذهاب فإننى سأذهب، ولكننى سأذهب لأكسب .. لا لأخسر، فبادرة بندر : نتمنى ألا تصل الأمور إلى هذا الحد ، وفى البنتاجون« أقترح « ولتز« على «كولين باول « تحريك سفن البحرية من قاعدة الولايات المتحدة بجزيرة «دريجو جارسيا« فى المحيط الهندي، وهى أقرب قواعد التموين إلى الخليج، لكن على بعد ٣٠٠٠ ميل، وهذه السفن يمكنها حفظ الطعام والذخيرة وإمدادات مشاه البحرية لمدة ٣٠ يوما، ولأكثر من ١٦٠٠ مقاتل، لكن «باول«

كان يعارض مثل هذا الاستعراض للقوة، وأخذ يتساءل لماذا ؟! وما الذى يمكن أن نحققه؟ وأضاف أنه يجب ألا تستخدم القوة كإشارة تدفع إلى الالتزام بأهداف غير مرئية وواضحة، ثم يطلب من العسكريين فى منتصف الطريق « الحقيقة« بل والحقيقة فقط! فماذا يعنى ذلك ؟! ثم قال الجنرال «كيلي« نتمنى منكم أيها الساسة ألا تكونوا حالمين، إننا لسنا فى بنما، وحرب الدبابات على الحدود شئ كريه للغاية.. وفى النهاية قال تشينى لباول : «إن الرئيس لا يريد نصيحة سياسة، وأنه وبوش يريدان خيارات عسكرية، لكن لا يبدو أنها تظهر فى الأفق، ورد باول « سيدى الوزير أن أى ضربة جوية سوف تكون كمن يتبول عكس اتجاه الريح وربما تأتى بما لا نتمناه«، ومع ذلك وقعت الحرب وانفق عليها ما لا يمكن حصره حتى الآن من مليارات الدولارات التى كان يمكن أن تعمر الأرض وتسعد الإنسان بدلا من أربعة ألاف قتيل أمريكى طبقاً للإحصاء الرسمي، وفى اعتقادى أنه يزيد عن ذلك كثيرا ، وما يقرب من أربعين ألف مصاب أمريكي، وبالتأكيد هو يزيد بالإضافة إلى مليون عراقي، ومع كل هذا يبدو فى الأفق أن العالم قد أوشك على مشاهدة الفصل الثانى من مسرحية « دماء ورمال« على أرض الشرق الأوسط أو إعادة نفس مشاهد الفصل الأول ولكن فى الفصل كان اختيار الجنرال « كولين باول« بأنه لا يريد ولا يفضل الذهاب إلى الحرب وإلا كان كمن يتبول فى الريح، لكن قرار الذهاب تركه للرئيس « بوش« وذهب إلى الشرق الأوسط، والنتائج السابقة هو ما أمكن حصره حتى الآن فمازال فى المشاهد بقية ربما تصل مع الفصل الثاني، لكن الفارق هذه المرة هو استقالة الأدميرال وليام فالون قائد القوات الأمريكية فى الشرق الأوسط وحتى أفغانستان وهى تمثل أحدث حلقة فى مسلسل الانقلابات التى تعيشها إدارة الرئيس الجمهورى « جروج بوش« منذ نهاية العام الماضي.

لقد اتفق الكثير من السياسيين والمتابعين للشأن الأمريكى على أن « بوش« لم يعد يحكم الولايات المتحدة بل ولا حتى يفهم علاقاتهم الخارجية الحالية حيث يسود شعور على نطاق واسع حالياً بأن ما يشبه انقلابا قد حدث فى أمريكا سحبت من خلاله من « بوش« سيطرته على المواضيع الرئيسية للحرب والسلام وقد اتخذ هذا الانقلاب شكل تمرد من قبل مسئولى أجهزة السياسة الخارجية وذلك بموافقة ضمنية من وزير الدفاع « روبرت جيتس« وقادة الجيش ومدير المخابرات المركزية الجنرال « مايكل هايدن« الذى عينه « بوش« بنفسه ، وجاء تقديم الأدميرال « وليام فالون« لاستقالته من منصبه بشكل مفاجئ بعد نحو عام قضاه فى هذا المنصب وقبل الوقت المقرر له بفترة طويلة وذلك عقب خلاف مع الرئيس الأمريكى حول « إيران«.

وهنا تبدأ النقطة الحرجة Critical – Point التى وضعت أمريكا فى مفترق الطرق تجاه إيران وربما يتكرر النموذج " العراقى – الأمريكى " إلى النموذج " الإيرانى – الأمريكى " ولكن مع النموذج الإيرانى استقال " فالون " ومع النموذج العراقى اعترض " باول " ومع ذلك ذهب إلى القتال فماذا تقول " البلورة المسحورة" للحائر عندما يقف فى مفترق الطرق حائرا ما بين الجنة والنار؟! .

اعتقد أنه من الواجب دراسة الموقف الإيرانى كاحتمال أول أو الموقف الإيرانى الإسرائيلى كاحتمال تبادلي.

أولا بالنسبة للموقف الإيراني، فإن جمهورية إيران الإسلامية لها عدة مميزات خاصة بها فهى دولة دينية وحكمها الرئاسى لا يتمتع بصفة الدوام فتداول السلطة الرئيسية محدد المدة والهدف ولا يستند إلى نظام خاص به وحده وإنما من خلال أهداف الثورة الإسلامية بشكل عام ، والنظام الرئاسى

ليس السلطة المطلقة ولكنه يعمل تحت رعاية ورقابة المرشد الأعلى " أية الله " ونسبة حضور الناخبين إلى صناديق الاقتراع هى أعلى نسبة مشاركة فى الشرق الأوسط ٨٩٪ وهذا ما يعنى أن هناك رغبة شعبية قوية للمشاركة السياسية وصنع القرار وبالتالى تحمل تبعاتهن والنظام الإيرانى أيضاً يستند إلى ركنين أساسيين هما التاريخ والدين، والتاريخ يعنى الرغبة فى العودة إلى الذات الإمبراطورى " الإمبراطورية الفارسية" وبما أن الإسلام هو هادم الإمبراطورية الفارسية، لكنهم يدينون الآن بالإسلام فليكن النظام الإمبراطورى الجديد هو عودة إلى الإمبراطورية وبصبغة إسلامية وبمساعدتها وتعويضا لها بنيولوك جديد " الإمبراطورية الإيرانية" والمد الاستراتيجى الأنسب لها هو اتجاه نحو الغرب" الوطن العربي" ومدخله الخليج العربي، والمد التأثيرى " سوريا " و " لبنان" أيضا وبما أن الهدف دينى وعقائدى وتاريخى فسوف يكون من الخطأ اعتقاد واضعى السياسة الأمريكية بأن الرد الإيرانى سوف يشبه أو حتى يقترب من الرد العراقى عند ضرب مفاعله النووى أو الرد السورى على الغارة الإسرائيلية الأخيرة ، لكنه سوف يكون ردا عنيفا نابعا من العمق التاريخى ورغبة الوجود والعودة إلى الذات ورغبة دينية ولديها أوراق المواجهة أمام السياسة الأمريكية التى تبغضها الشعوب علنا والحكومات فى العمق وعلى استحياء ومن هنا فلن تستطيع أمريكا أن تضرب مفاعل إيران فالرد سيكون مرا ولا تتحمله السياسة الداخلية بعد أحداث العراق وخسائر أفغانستان.

أما بالنسبة للاحتمال الثانى ، وهو إيران وإسرائيل فإن التعامل خلف الأبواب المغلقة والعلاقات السرية المباشرة كانت بين إيران وإسرائيل بشكل مباشر وكما أظهرت الوثائق أيضاً ووصلت إلى حد بيع الأسلحة " الصواريخ" من إسرائيل إلى إيران فى بدايات الثورة الخومينية، وما أريد قوله أن العلاقات

المباشرة الثنائية كافية وبشكل واضح لكى يفهم كل منهما الآخر ويقدر إمكانياته وطريقة التفكير وبشكل تام وتدرك إسرائيل أن التصريحات السياسية الإيرانية بخصوص إزالة إسرائيل من الوجود " متاجرة" ولا تتعدى ذلك فهى موجهة إلى الشعوب العربية لكى تكون الأمل المنشود والتمهيد للوجود على الأرض العربية.. أما العلاقة الحقيقية وكما يدركها المسئولون فى كلا البلدين فهى خوف إيران من أن تستخدم أمريكا والغرب إسرائيل فى ضرب المنشآت النووية الإيرانية .. وبالتالى تخشى إسرائيل الاقتراب الإيرانى .. وطموحه نحوها " تحول الخاطر إلى حقيقة" وتلك هى حقيقة العلاقة فى ظاهرها وباطنها أيضاً ومع ذلك فلن تقدم إسرائيل على ذلك لمصلحتها فقط !! لأن المغامرة غالية ولن يكون رد الفعل الإيرانى مثل العراقى أو السوري، وبالتالى لن تغامر إسرائيل إلا بضمانات كافية تماما وبحوافز نادرة وقيمة فى المقابل " البرنامج النووى الإسرائيلى كان حافزا للاشتراك فى حرب السويس سنه ١٩٥٦" ومن هنا فمن الناحية الفنية فإن إسرائيل إذا أقدمت على هذه المغامرة تكون أمريكا قد اختارت الحل الأمثل لها للظروف العسكرية فى العراق وأفغانستان والداخلية أيضاً !! ومن هنا أيضاً يمكن أن تساند إسرائيل سياسيا ودبلوماسيا " فى الأمم المتحدة" وعسكريا دون تورط ذاتى ومن هنا وجب على إيران أيضاً أن تعلن بوضوح أن البضاعة الموجهة إليها بضاعة مشتركة " صناعة أمريكية – إسرائيلية" فى دراسة لمركز " نيو أمريكان سيكيورتي" أن ٣٧٪ من ضباط الجيش الأمريكى يعتقدون أن إيران هى أكثر دولة استفادت من الحرب على العراق و ٢٢٪ قالوا أنها " الصين" ومع ذلك تقول " بلورة" أن أحداث الشرق الأوسط أصبحت كامنة فى قصر مهجور مرصود من يدخل حجرتها أو حاول فك ضفائرها مفقود، مفقود ، وكفى أربعة ألاف قتيل وأربعون ألف مصاب حتى الآن فقط ! .

فى خيال الكاتب تقف إيران أيضاً بعد أن وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، أو فى منتصف الطريق لتسأل عن استحياء النصيحة والحكمة فى الأفق البعيد، فليس كافيا أن يكون لديها الرغبة فى الدخول إلى السباق النووى وليس كافيا أن يكون لديها القدرة المالية لاستيراد التكنولوجيا من الخارج، وليس كافيا أن يتوفر لها الفنيون اللازمون لمثل هذه المشروعات الغالية والتى لا تقدر بالمال من ناحية مردودها الأمني، والأهم من ذلك هو أن تعرف قيمة ما لديها بالنسبة لها وللآخرين، وأن تعرف كيف تحافظ عليه بالليل والنهار، وإن تردك أن إنشاء المفاعل هو نصف الطريق وأن تشغيله والدفاع عنه ضد العدوان الأفقى والرأسى دفاعا كاملا هو النصف الآخر، وبما أنه كثيرا ما يطرح الساسة شروطا سياسية يدركون قبل غيرهم بأنها غير قابلة للتطبيق أو الموافقة ولكنها لملء الفراغ السياسى أو موقف سياسى بموقف مضاد بأن تعلن فض البرنامج النووى الخاص بها مقابل البرنامج النووى الإسرائيلى ويريح الشرق الأوسط ويستريح ولن تقبل إسرائيل ، ولن تقبل إيران ، ولكن ربما يقبل العرب " أصحاب الشعر والخيال" .

ويقول المؤلف الأمريكى الشهير " راى تاكيه" الذى يعتبر المرجع الأول فى أمريكا لكل ما يتعلق بالشئون الإيرانية والذى يعد أحد أقطاب مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية والذى يحدد المفكر الأعلى "المرشد الأعلى" خامئنى اللاعب الأكبر بالأوراق الإيرانية وأحمدى نجاد ممثلى جيل العائدين من الحرب ثم الطيف البرجماتى هاشمى رافسنجانى والإصلاحى محمد خاتمي، وهؤلاء اللاعبون يجدون أن أمريكا تريد سقوطهم ولكنها فى الواقع أشد من يساعدون فى تقوية نظامهم بجهلها بفكرهم ولو اختفت أمريكا من على خارطة الوجود لبحثوا عن أمريكا جديدة تفاديا للسقوط.

الفصل الثامن :

نحو تعريف جديد للإرهاب فى عالم القطب الواحد

«الإرهاب» كلمة قديمة تم تفعيلها من حقبة زمنية ليست بالقصيرة، ولكن حدث لها كثير من التطورات الجديدة كان منشؤها الولايات المتحدة، لكنها الآن تزداد عالمية يوماً بعد يوم وجاء معها مشهد اجتماعى وسياسى جديد ... وفى الولايات المتحدة يبدو أن هذه الأمور مقبولة إلى حد ما ولكنها لا تحظى بهذه الدرجة من القبول من البلدان الأخرى ومن المؤكد أن كثيراً من البلدان ستبحث عن سبل لترويض الآثار المترتبة عليه وقد حدد معالم الإرهاب وعرفه أحد خبراء السياسة المصرية بقوله " إن الإرهاب أصبح نشاطاً مهنياً وظاهرة منظمة وليس سلوكاً انفعاليا تقوم به تنظيمات العنف وهى تستهدف غير العسكريين ولها أهداف سياسية.. وإن العالم كله أصبح ساحة واحدة للإرهاب.." وهذا المعنى يحوى الكثير من المفاهيم .. فلولا الدعم الذى يحصل عليه الإرهاب والأرضية الخصبة التى أوجد نفسه عليها وأوجدتها له المصالح السياسية الغربية وفق أهدافها لما حدث كل ذلك .. وقد تم ذلك من خلال تعاون مؤقت بستار حقوق الإنسان تارة وتارة أخرى من أجل المساعدة فى حرب أيديولوجيات أخرى أثناء الحرب الباردة أو للضغوط على بعض الدول من أجل هدف ما ..

وليس الإرهاب هو القلق وعدم الاستقرار السياسى فحسب فهناك أيضاً بعض

المفكرين الذين يدعمون فكرة الصراع وبوازع البحث عن الذات والوجود بعيداً عن السلام والوفاق الدولى لأن الصراع المسلح فى ذاته وإن كان بعيداً عن الأهداف المشروعة وعودة الحق المسلوب قد خلف تابعاً لا يتحكم فى نموه وقدراته أحد وهو الإرهاب بكل أشكاله التفجيرية والسياسية والعقائدية وبدافع من التطرف الأعمى والتعصب العقائدى بكافة أشكاله ودياناته أيضاً .. وفى ألمانيا عبر المؤرخ ورجل السياسة " هنريخ فون تريتشكه" بقوله " تؤلب الحرب فى الحقيقة الأمم بعضها ضد البعض الآخر ولكنها تقرب فيما بينها بطريقة معينة وذلك بإفهامها مواردها الخاصة وموارد الدول المجاورة وغالباً ما تكون الحرب أكثر فاعلية من التجارة الدولية كوسيط بين الشعوب والأمة التى تتشبث بالأمل الوهمى للسلم الدائم وتدخل حدود انعزالها المتعالى تنتهى حتماً بالانحطاط .. ففكرة القضاء على الحرب وإلغائها من العالم ليست أملاً بليداً فحسب بل إنها فكرة لا أخلاقية فى أعماقها ... فلو تحقق هذا الحلم لشاهدنا ضمور بعض القوى الأساسية والسامية فى النفس البشرية .. ولكن عندما تسمع أمة من الأمم صوت الإنذار الذى يعلن أن الأمة فى خطر وأن وجودها مهدد بالزوال تستيقظ أفضل الفضائل وتنتشر روح التضحية والشجاعة بشكل حر وسام وبصورة لا نعرفها أثناء السلم...".

وقال المارشال "هلموث فون مولتكه" والذى غدا فيما بعد إمبراطوراً لألمانيا وحمل لقب " القائد الأعلى للحرب"... " إن السلم الأبدى حلم إلا أنه ليس حلما جميلاً لأن الحرب حلقة فى النظام العالمى الذى أراده الله .. والحرب مهنة عنيفة وقاسية ولكن من يستطيع أن يخلص من آلامها وضرورتها فى هذا العالم؟ أليست هذه الشروط هى وجودنا على الأرض التى أرادها الله ؟ أليست هذه الشروط هى العناصر الضرورية للنظام الإنسانى فماذا سيصبح المجتمع إذا

لم يلزمه الشرط القاسى على التفكير والعمل ؟ لقد قال شاعرنا إن الحرب رهيبة كالجروح التى يصيبنا بها الله ولكنها طيبة مثل هذه الجروح وتشكل جزءاً من مصيرنا.

وقال الجنرال "سيكت" فى كتابه " أقوال الجندي" Paroles d›un Soldaro إن الذى نظر إلى الحرب مباشرة وجده فى عينيها الداميتين وتأمل بعين الراصد ساحات حرب عالمية كان مضطراً إلى رؤية آلام الشعوب واضحى شعره رمادياً تحت رماد البيوت المحترقة وكان يتحمل مسئولية موت وحياة كثير من الرجال، إن الجندى المتعلم الذى عركته الحرب يخشى الحرب أكثر بكثير من الحالم الذى لا يعرفها أبداً ولا يتوقف عن الحديث عن السلم ولا تثار الحرب بقلب فرح عندما يعرف الذى يثيرها فظاعتها حتى لو كان يعرف مع ذلك عظمتها والأفراح الهائلة القادرة على إشاعتها".

تلك عزيزى القارئ كانت جولة فى الفكر الغربى أيضاً وبمختلف ميوله ورؤاه .. وهى تختلف عن الرؤية المصرية التى طالما نادت بها مصر قيادة وشعبا نحو الطريق السليم والمحدد لمحاربة الإرهاب الدولى بكافة أشكاله وعناصره، ولكونها عانت من الإرهاب لفترات طويلة وهى الآن على حافة النجاح فى التعامل معه وبصدق وشفافية وحقاً لما تتمتع به قيادتها السياسية من طول بال تحسد وبحق عليه وبفهم للجذور والأبعاد، وتدعو العالم بأسره للعمل بها وهى:

" أولاً" السلام الدولى بعيداً عن الصراع ألمصلحى وبشفافية كاملة لا تميل لأحد الأطراف وفق الهوى والنفوذ ولا تكيل بمكيالين وفقاً للمعايير الخاصة والاقتصادية والأيديولوجية .. لأن من عرف الحرب بقلب سليم ونفس شفافة لا يريد الحرب أو يدعمها أو يذهب إليها .. وذلك لأن الحرب والصراع ألمصلحى والاحتلال والاستعمار هو بذات الأب والإلهام "للإرهاب".

ثانياً : البعد بالإرهاب والتعامل معه باتفاقات مؤقتة وفق الهوى " أى عدم تسييس الإرهاب فى بوتقة الصراع السياسى لكونه أشبه باللعب بالنار لا تحمد عقباه.

ثالثاً : لابد أن يكون هناك تعريف شفاف للإرهاب وقانون دولى يحدد حجمه وأهدافه بعيداً عن الشطط السياسى وفق المصالح الخاصة ليعرف كل إنسان على الأرض حقوقه وواجباته حيال المجتمع الدولى والإنسانى بكافة أشكاله وديناناته ومعتقداته أيضاً .. ويتم فيه تحديد الفارق بين المقاومة المشروعة لعودة الحق وفق المعايير الدولية والحقوق المشروعة وبين الأهداف الاحترافية التى تشبه المرتزقة إلى حد كبير ؟! فلا تتوه المعايير وتعطى الغزو الفكرى المجال للتولد السرطانى غير المحمود .. وتكون بالتالى تهمة الإرهاب عامة ومطاطة تلصق بكل طائفة أو دولة دون عدل أو مساواة ..؟! وهذا ما نادت به ولا زالت تنادى ولكن هيهات أن يستجيب المجتمع الدولى أحادى القطبية أو القطبية كلها وفى هذه الظروف الصعبة بالذات .. ؟! ولكى يكون الأمر واضحاً وجلياً لك عزيزى القارئ وجب دراسة نماذج خلط السياسة بالإرهاب والتهديد بالإرهاب لتحقيق أهداف سياسية.. والنموذج الأول هو المشكلة الإيرانية الأمريكية على اعتبار أنها من محور الشر أو الدول الراعية للإرهاب من المنظور الغربى عامة والأمريكى على وجه الخصوص وكيف تم ويتم التعامل معها بالمعايير السياسية الحالية.

وقد لخص العراب الأمريكى للسياسة الأمريكية "هنرى كيسنجر" سلبيات النظام الإيرانى الحالى وكيف كان الصبر الأمريكى بلا حدود (على الأقل حتى الآن) فى كتابه الأخير " نحو دبلوماسية القرن الحادى والعشرين" . ذيول أحداث ١١ سبتمبر وتداعياتها على العالم . بالنقاط الآتية:

١ – الاختطاف الذى استهدف أمريكيين وغربيين آخرين فى بيروت خلال

الثمانينيات كان من منظمات مدعومة وممولة من إيران . كما قتل عدة مئات من الجنود الأمريكيين فى بيروت منهم.

٢ – احتجز طلاب إيرانيون خمسين دبلوماسيا أمريكيا كرهائن لمدة أربعين شهراً.

٣ – تفجير الثكنات العسكرية فى "الخبر" فى السعودية والتى أسفرت عن مقتل تسعة عشر أمريكيا فى عام ١٩٩٦ طبقاً لمجموعات ترعاها إيران .

٤ – تطوير القدرات النووية السرية باستخدام تكنولوجيا مزدوجة من الغرب مع بعض الدعم من روسيا (ويبدو أن الصين قد ألغت وأنهت دعمها السابق) ثم استعرض العلاقات الأمريكية الإيرانية بقوله : " ثمة أمم قليلة فى العالم تتملك الولايات المتحدة الأمريكية أسبابا أقل للتشاجر معها أو مصالح أكثر توافقا مما هو الحال مع إيران ؟! وليس لدى الولايات المتحدة مصلحة مع مطلب إيران بالاستقلال .. فقد شعر العديد من صانعى السياسة الأمريكية بمن فيهم " أنا " بالامتنان العميق لدعم الشاه للولايات المتحدة فى أزمات الحرب الباردة المختلفة (عفوا كيسنجر.. وماذا كان مصيره معكم) .. غير أن حافزنا الأساسى لم يكن العاطفة بقدر ما كان تقدير أهمية جغرافية إيران ومواردها ومواهب شعبها..

باختصار لا يوجد حافز جيوسياسى أمريكى للعداء بين إيران والولايات المتحدة .. وقدر إيران لعب دور حيوى وحاسم أحيانا فى الخليج العربى وفى العالم الإسلامى .. ثم ختم الاستعراض بنصيحة " إننى قلق من محاولة الاستخدام المبالغ فيه للعقوبات الدولية .. !! وعلى ما يبدو عزيزى القارئ فقد حددت وسارت أمريكا خلف " الإمام " كيسنجر" بكل اقتناع

ورضا نادر وحددت المطلوب من إيران :

١ – التخلى عن تصدير الثورة بالقوة والتدمير.

٢ – كبح الإرهاب.

٣ – وقف التدخل فى دبلوماسية السلام فى الشرق الأوسط.

٤ – وقف البرنامج النووى العسكرى الإيراني.

وبذلك يكون الهدف الاستراتيجى (إن نجح) هو بذل مجهود رئيسى للتوصل إلى اجتماع يربط الدبلوماسية بضغوط معقولة ومقترحات دبلوماسية متفق عليها تجاه إيران وإتباع سياسة ثابتة ومتماسكة وتصالحيه .. وبذلك يمكن استعجال اليوم الذى تصبح فيه إيران مستعدة لتعاون بعيد المدى – ويكون السبيل والطريق إلى هذا بتعيين ممثل سرى فى البداية ثم حوار تمهيدى يتبعه إعلان رسمى أو شبه رسمى وبخطوات محسوبة ومرغوبة لكلا الطرفين وتلك عزيزى القارئ كانت رؤية كاتب تحتمل الخطأ والصواب للنقطة الأولى حول تسييس الإرهاب أو بمعنى أدق استخدام "الإرهاب" فى أغراض سياسية أحادية القطبية أو القطبية كلها وبعيداً عن قانون الإرهاب أو حتى تعريفه لدولة كانت محور الشر أو داعمة للإرهاب وممولة له من وجهة النظر الغربية والأمريكية .. ولكن إذا كنت من هواة مشاهدة الأحداث فى الكواليس أو باحثاً عن الحقائق خلف الأبواب فانظر وتأمل ولكن بحذر ودون أن تتكلم:

استبعد البيت الأبيض الأفكار العسكرية والخطط التى أعدها البنتاجون والمخابرات المركزية بعمل عسكرى غير مأمون العواقب وغير مناسب سياسياً فى الظروف الحالية سواء قامت بذلك أمريكا أو إسرائيل بدعم أمريكى خاصة أن أمريكا مقدمة على انتخابات رئاسية جديدة ولا ينبغى أن يفتح النظام الحالى

ملفاً قد لا يغلق حالياً وتتحمل تبعاته الرئاسة الأمريكية القادمة.

إن ما يمكن دفعه من ثمن للسلام أو التهدئة فى الشرق الأوسط قد يكون باهظ التكاليف كما وضح من خلال مباحثات مؤتمر السلام فى (أنابوليس) و الشكوك العربية حوله و طلب ضمانات للتطبيق قد تفوق الوعود الأمريكية لإسرائيل بعدم الضغط عليها للعودة إلى الحدود ١٩٦٧ (من بوش لشارون)

الانتظار لنتائج المباحثات السرية والتى حققت تقدماً ملموساً مع إيران طبقاً لنصائح كيسنجر وساسة البيت الأبيض المؤيدين لها ؟!! ولذلك تم سحب العرض الأمريكى من مجلس الأمن بتبنى أمريكا لتطبيق مقررات مؤتمر السلام فى " أنابوليس" وإضفاء شرعية دولية عليها لإلزام كافة الأطراف بها وهذا لم يعد مقبولاً بعد تقدم المباحثات مع إيران واستبعاد الحل العسكرى وهذا ما أدى إلى سحب المشروع الأمريكى بعد عدة ساعات من تقديمه ويحجج وهمية وهلامية لم تهضمها العقول السياسية العربية بعد ... !! .

وافقت إيران على المطالب الأمريكية الأربعة التى حددها هنرى كيسنجر ولكن بالثمن الذى وجدته مناسباً فالمفاوض الإيرانى شرس ولا ينخدع بتحوير الألفاظ أو الحلول الوسط والتعاريف الهلامية ويعرف ماذا يأخذ أو يناسب ومتى يدفع وماذا يكون الثمن وفقاً لمصلحته الشخصية وما تقتضيه الظروف الحالية والمواقف الدولية والإقليمية .. وتدرك ذلك أمريكا أيضاً فهى تعطى وتتعامل مع الجانب الإيرانى بوضوح وما يمكن تطبيقه فعلاً " ولكن يبقى فى القلب ما فيه " انتظاراً للجديد والكل يأمل فى أن يكون لصالحه ووفق هواه لعل الرياح تأتى بما تشتهيه السفن والأنفس.

أعلنت أمريكا وفق الاتفاق وببيان رسمى محسوب لكونه شبه رسمى ومن جهاز أمنى (سى – آى – إيه) وليس على المستوى الحكومى أيضاً وتلك بعض

نقاطه الرئيسية :

(أ) نعتقد وبدرجة عالية من الثقة أن إيران أوقفت فى نهاية ٢٠٠٣ برنامجها النووى العسكرى و بدرجة متوسطة من الثقة أن البرنامج لم يستأنف منتصف العام الجارى " لاحظ دقة الألفاظ والملاحظات أنه متفق عليه بياضاً لوجه الطرفين واختيار تاريخ سابق يناسب مكانة إيران الإقليمية والإمبراطورية الأمريكية العالية.. ".

(ب)

إقرار طهران وقف برنامجها للتسليح النووى يوحى بأن طهران أقل تصميماً على تطوير أسلحة نووية مما كنا نعتقد منذ عام ٢٠٠٥.

(جـ)

الوسيلة المرجحة لإيران لإنتاج كمية كافية من المواد الانشطارية لصنع قنبلة نووية هى تخصيب اليورانيوم الذى بدأته فى عام ٢٠٠٦.

(د)وكالة الاستخبارات لديها ثقة أن إنتاج ومعالجة كمية كافية لإنتاج أسلحة هو عام ٢٠٠٩ لكن الاحتمال ضئيل جداً .. ! .

(هـ)

لن تكون إيران قادرة تقنياً على إنتاج ومعالجة كمية كافية من البلوتونيوم لأسلحة نووية قبل عام ٢٠١٥.

(و) قرار إيران وقف تطوير برنامجها النووى العسكرى فى عام ٢٠٠٣ جاء رداً على الضغط الدولى (وهذه النقطة موجهة بالأخص للدول العربية).

وإلى هنا عزيز القارئ فقد نجحت على ما يبدو الوصفة الكيسنجرية وعادت الأمور فى الشرق الأوسط لما كانت عليه هادئة ومستكينة وثابتة بغير وعود (ولا

obeikandi.com

عزاء ..) وعادت عملية بناء المستوطنات إلى معدلها العادى والمقدر وعاد السلام الإقليمى للهدوء كما قدرته ورأته السياسة الأمريكية .. وسمحت أمريكا لإيران بحضور الاجتماع الأخير لدول مجلس التعاون الخليجى بكل ترحيب وبضوء أخضر تم فيه التفاهمات بين الدولة المضيفة ودول الخليج صاحبة المكان حتى أن بعض الدول الخليجية لم تكن لتعلم بحضور الرئيس الإيرانى " أحمدى نجاد" لهذا المؤتمر وذلك على لسان وزير خارجية الكويت؟! وإلى هنا فقد هانت أنفسنا علينا فلماذا نستغرب أن نهون فى عيون الآخرين..؟! .. والسلام فى المنام!

obeikandl.com

الفصل التاسع :

كواليس الانتخابات الأمريكية بين جون ماكين .. وابن « عم حسين » !

يقول كافور « لقد ابتكرت فن خداع الدبلوماسيين . وأنا أقول الحقيقة وأنا واثق أنهم لن يصدقونى ، ومن هنا كان الحديث عن الانتخابات الأمريكية هو دخول إلى الدورة الدموية الداخلية فى شرايين و أوردة الجسد الأمريكى من الداخل ولن يكن كافة نقاطه اعتمادا على اليقين وإلا كان ذلك نوعا من الكذب أو ادعاء بقدرة خارقة لم تعد واردة بعد انتهاء عصر المعجزات السماوية ولم يعد باقيا إلا الاعتماد على العقل البشرى ومدخلاته وإعماله الفكرى طالما استمرت هذه المدخلات بالمزيد من الاطلاع والمتابعة لكل جديد .. ومن هنا فهى نوع من الاقترابات (approaches) سواء كانت تقليدية كما نعلمها أو ندركها أو اقترابات حديثة وهى وفق دراسة ومعلومات واستنتاجات فكرية خاضعة لمواهب ودراسات وليست ضربا من الخيال لأن الاقتراب هو طريقة لمحاولة الاكتشاف والتفسير فى إطار تحليلى يؤخذ كأساس عند دراسة الظاهرة سواء سياسية أو اجتماعية وبالقدر المسموح به الاقتراب طبقا لوفرة المعلومات أو السماح بها أو اعتبارات الممكن أيضاً .! لأنه من الصعوبة بمكان فهم نظام الحكم فى أى دولة بعيدا عن قانونها الدستورى و الإدارى .. والأصعب عند اختيار قادة الحكم وبعوامل تختلف من مؤسسة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر سواء تم ذلك عبر الانتخابات أو التعيين أو الجمع بينهما .. ولكن ما تيقنت منه أنه لا يترك

ذلك للصوت الشعبى الانتخابى العادى .. كما فهمت وتعلمت فى البداية .. أى الاقتراب التقليدى كما درسته ثم الاقتراب الحديث كما أحسسته وفهمته وناقشته ولكن دون اللمس باليد ومع كل المعرفة بالكهرباء والفوائد و التأثير لم تستطع أن تلمسها باليد ؟! .

الاقتراب التقليدى : وقد استغرق ذلك سنوات تتلخص فى العصر الحديث للمعلومات بعدة كلمات أصبحت أساسا للفهم وليست كل المعرفة وهى أن أمريكا جمهورية فيدرالية رئاسية ينتخب رئيسها لمده أربع سنوات انتخابا مباشراً من الشعبى بينما ينتخب الكونجرس الذى يتألف من مجلسين الأولى الشيوخ وعدد أعضائه مائة عضو على أساس عضوين من كل ولاية ومدة العضوية ست سنوات يجدد انتخاب ثلثهم كل سنتين والثانى النواب وعدد أعضائه ٤٤٥ عضوا على أساس عضو من كل دائرة انتخابية تضم ٣١٨ ألف ناخب .. كما ينتخب مندوب من " بورتوريكو " لا يتمتع بحق التصويت ومده العضوية من مجلس النواب سنتان يجدد بعدها تجديداً كاملاً .. ويرأس نائب رئيس الجمهورية مجلس الشيوخ ولا يكون له صوت عند الاقتراع على ما يعرض من مسائل غير أنه يكون له حق الترجيح فى حالة تعادل عدد المعارضين والمؤيدين لمشروع معين . ويوجد فى كل ولاية سلطة تشريعية من مجلسين تشريعيين باستثناء ولاية نبراسكا .. والقضاء فى الولايات مستقل عن القضاء الفيدرالى وتطبق محاكم الولايات القوانين المحلية التى قد تختلف من ولاية إلى آخرى .

ويمكن تحديد مراكز القوى فى الولايات المتحدة فى الآتى :

الرئيس الأمريكى والبيت الأبيض ويعطى النظام الرئاسى الأمريكى لرئيس الجمهورية سلطات واسعة لا يحدها غير شخصية الرئيس وعلاقته بالكونجرس.

الكونجرس الأمريكى حيث يقوم الكونجرس وخاصة مجلس الشيوخ بدور كبير فى مجال السياسة الخارجية والداخلية للولايات المتحدة ، كما أنه يشترك مع السلطة التنفيذية فى بعض المسائل كالموافقة على تعيين السفراء والقناصل وإقرار المعاهدات .. وتنشط فى الكونجرس قوى وتيارات عديدة وجماعات الضغط وتعرف بـ (lobbiests) ومنها (أ) جماعات الأصل الايرلندى والإيطالى (ب) جماعات المصالح مثل اتحاد العمال والنقابات المتعددة (ج) منظمات الزنوج ، (د) الجمعيات الصهيونية .

وزارة الخارجية: وهى المسئولة عن اقتراح السياسة الخارجية للولايات المتحدة .

وزارة الدفاع :وهى تلعب دورا كبيرا فى السياسة الخارجية ووضح ذلك خلال الحرب العالمية الأولى والثانية لتنفيذ الإستراتيجية الأمريكية

وكالة المخابرات المركزية الأمريكية : وهى تتبع رئيس الجمهورية وتم إنشاؤها عام ١٩٤٧ وهى تنسق عمل المخابرات وجمع المعلومات فى المجالات التى تتصل بالأمن القومى ، كما تقوم بمهام خاصة لتحقيق الإستراتيجية والسياسة الأمريكية مثل المحاولة الفاشلة لغزو كوبا عام ١٩٦١ .

المصالح الاقتصادية : وهى ذات قوة كبيرة ترجع إلى ضخامة الإمكانيات الاقتصادية الأمريكية ومساهماتها فى ميزانية الولايات المتحدة ،ومن ثم فإن تأثيرها السياسى كبير جداً .

الرأى العام ووسائل الإعلام : حيث يرتكز النظام الأمريكى الانتخابى على الرأى العام فكل رئيس جمهوريه يراعى فى سياسته رد الفعل على الرأى العام ويحاول فى نفس الوقت التجاوب معه .

obeikandl.com

الأحزاب السياسية : حيث تقوم الحياة السياسية فى الولايات المتحدة على نظام الحزبين الديمقراطى والجمهورى ولكن يلاحظ بصفه عامة أن كل حزب يضم فريقين يطلق على الأول اسم الأحرار والثانى يطلق عليه اسم المحافظين وفقا للمواقف التى يتخذها كل فريق داخل حزبه تجاه الشئون الداخلية أو الخارجية .. ويضم الحزب الديمقراطى عددا أكبر من الحزب الجمهورى ويقدر البعض النسبة بأنها ٣ : ١ غير أن الحزب الجمهورى يعتمد فى كثير من الانتخابات على تأييد الجناح اليمنى فى الحزب الديمقراطى لترجيح الكفة لصالحه .

عزيزى القارئ : ذلك كان الاقتراب التقليدى الذى درسته وعرفته وإن كان فى بساطه واختصار عايشتها دارسا وممارسا ومعتقدا بيقينها أيضا لأنها ترتكز على الواقعية والقرائن التى تؤدى فى النهاية لأحد الحلول ومن ثم تتبع الرغبة والميل إلى التأنى والمماطلة حتى يتبين الشكل الذى سوف تتخذه الأحداث .

الاقتراب ألابتكارى :

وهو الاقتراب الحديث بعدما عايشت فترة الاقتراب التقليدى بكل ملامحها ومعطياتها وكنت أعايش فترة الانتخابات الأمريكية بطريقة عاطفية تشبه مشاهدة مباريات كرة القدم وانفعالاتها ونشوة التفاعل معها .. ولكن الآن ومع الإقرار بصعوبة تزييف الحقائق وحجب الواقع فى عصر الإنترنت خاصة ونحن نواجه عقلا غريبا ناقدا راصدا بل على الأصح منتقدا ومترصدا وقد توفرت له أدوات كشف جديدة تفوق بمراحل تلك التى كان يلجأ إليها فى الماضى .. واعترف ببداية النقلة النوعية والفهم بزاوية الاقتراب ألابتكارى الحديث بدأت معى منذ الانتخابات بين « كيرى « المرشح الرئاسى و «بوش الابن « وكنت أتابع المناظرة بينهما بانفعال شديد كما أوضحت وأشبه بالمباريات على الهواء مباشرة وفجرا لاختلاف التوقيت ولكننى لاحظت وتشككت بأن المناظرة مصطنعة وعلى ما

يبدو أنها كانت كذلك من وقت طويل وإما أننا لم نكن نفهم أو أنهم أخفقوا فى إدارة مسرحية الانتخابات هذه المرة والخطأ ربما يقع على المخرج حيث إننى لاحظت أن واضعى الأسئلة والإجابة أمام « كيرى » هم نفس الأشخاص الذين وضعوها أمام « بوش » أو بمعنى آخر يضعون السؤال هنا والإجابة هناك ،وأن من أمامه السؤال لا يجهد نفسه أمامه وكذلك من يقوم بالإجابة ؟ فما عليه إلا النظر فى الورقة التى أمامه دون أن يكلف نفسه التفكير أو الإعمال الذهنى ؟ وتشككت فى الأمر فقمت بالاتصال من فورى بأحد الأصدقاء فأوضح نفس الشعور وراجعت نفسى مع رجل متخصص استوضح منه فنيات الأمر فقال لى « طلعت فالصو « ثم طالعتنا الصحف فى اليوم التالى بأن التشابه فى الاجابه والسؤال فى المناظرة راجع إلى مدرسة واحدة فى الإعداد والدراسة لكلا المرشحين (ما أمكن تبريره) وذلك على لسان متحدث رسمى أمريكى ! ومن هنا بدأت أتعقل الأمر بأنه لابد أن تكون هناك مؤسسات أكبر من مؤسسة الرئاسة الأمريكية وذلك التركيب النمطى الذى عايشته دارسا وممارسا وطبقا لنظرية الاقتراب ألابتكارى الجديدة وطبعا بقدر الاقتراب المسموح وليس اليقين بأنه مجلس أو وكالة الأمن القومى الأمريكى والذى يشمل خمس عشرة وكالة للمعلومات من بينها (C.I.A) وهذا المجلس يطلق عليه (National Security Agency) والتى تضم عددا وفيرا وكبيرا من الموظفين والمتخصصين والخبراء فى كافة النواحى العلمية والفنية والإستراتيجية ولها مجلس يقوم بتحديد طبيعة المرحلة المقبلة ومتطلباتها وما تقتضيه من نوعية معينة من رجال الحكم وطبيعة الدراسة التى قاموا بها طبقا لنظرية " التجربة المباشرة " ثم ما تم استيعابه من تجارب الآخرين وفقا لنظرية " التجربة غير المباشرة " كما تم رؤيتها بصورة أشمل وأوضح لتلافى أخطاء الماضى حيث كان الرؤساء الأمريكيون يجدون أن كل

مشكلة لها وجهان " أبيض " و " أسود " ويتجاهلون الارتباط الموجود بين الحوادث الظاهرة والمنعزلة وإذا ما عدنا إلى الوراء فإننا نجد تأرجحا فى الرأى فى إدراك العلاقة بين الأحداث الظاهرة والمنعزلة وإذا ما عدنا إلى الأسباب لكان الربط بين مهزلة أحداث حرب السويس وقرار فرنسا بإنشاء قوة ذرية خاصة بها أو التناقض بين مشروع تحييد " لاوس "وتصعيد الجهود العسكرية فى فيتنام " ومن هذه الآثار عدم إجراء تقييم حقيقى للعوامل التاريخية إذ تعامل الدول على نمط واحد وتطبق الحلول نفسها على الدول التى تعانى من مشكلات وأمراض متشابهه .. إن الرؤساء الأمريكيين لا يهتمون بمشكلة إلا إذا أصبحوا مسئولين عنها ثم إنهم يهتمون بالألفاظ التى يستعملونها فى تصريحاتهم أكثر من اهتمامهم بأثرها لدى الدولة المعنية ويقدرون الاتفاق بقيمته الاسمية وهى غالباً أكثر من قيمته الحقيقية .. وفى الحقيقة فإن هذا المجلس ربما يختار ما يناسب المرحلة من بين نماذج عدة منها النموذج الأيديولوجى أو البيروقراطى أو الواقعى طبقا لطبيعة المرحلة ثم اختيار الأنسب لها ثم إدارة الانتخابات بمهمة توكل إلى الإعلام الأمريكى لإعداد مهرجان الشعب لممارسة الديمقراطية ، فهل من المعقول أن يحدد مصير العالم واختيار صاحب الأصبع الذهبى الذى يمكن أن يضغط على الزر النووى وتحديد مصير الإمبراطورية الأمريكية .. هل من المعقول أن يوضع رهن اختبار واختيار الناخب الأمريكى صاحب الأولويات الخاصة به والمصلحة المباشرة وأغلبها تحسينات اجتماعية وارتقاء بمستوى المعيشة وتحسين دخل الفرد وزيادة الدخول حيث يرى أمريكا " أرض الأحلام " ولا اعتقده يراها غير ذلك ! ! .

مهرجان الديمقراطية :

ألست معى بأن بداية الحملة فى يناير والانتخابات فى نهاية العام ولمده عام كامل هى مدة طويلة إلى حد كبير ؟! ولكننى أراها بنظرية الاقتراب الجديدة

غير ذلك .. لأن أمريكا فى حاجة شديدة لعدة اعتبارات :

أن تبدو واحة للديمقراطية لأطول فترة ممكنة فيراها العالم بصورة طيبة وجميله تختلف عن الواقع اليومى لأحداث العراق و أفغانستان والصومال وما يمكن أن تغطى به الممارسات اليومية المتوحشة للقوات الأمريكية فى العراق بعد أن فشلت فى ذلك لجنة تحسين وجه أمريكا واستقالة رئيستها .

هى فرصة لبعض الحكام لالتقاط الأنفاس بأن ما مضى قد مضى والقادم الجديد ربما يكون أعدل وأفهم وأرحم وباختصار ربما يعنى الأمل .

المحافظة على السيطرة الإعلامية بالشكل المرغوب فيه لإظهار وجه الديمقراطية وجمالها الأخاذ وأمنيات الاقتران بها .

اختيار الرئيس الأمريكى الجديد بطريقة « رامبو « بحيث يعانى ويناضل ويتم تلميع وإظهار علامات النصر فى البداية على شخص أو اثنين وتحتدم المنافسة بينهما ما بين انتصار هنا وهزيمة هناك وتظل النتائج واستطلاعات الرأى متأرجحة تارة هنا وتارة هناك ثم يأتى صاحب الاختيار والحظ من الخلف يعانى ويكافح ويناضل ليكسب عطف الجميع ويقفون معه ويدعون له بالنصر والتوفيق فهو المضروب والمغلوب والطيب المقهور ويشارك الناس اجمعهم فى الدعاء له وإعطاء أصواتهم ويهلل له العالم أيضا وكأنه شارك فى الانتخابات مرحبا بقائد العالم الجديد وصاحب الإمبراطورية صاحبة القطبية الواحدة أو القطبية كلها فليس من الخبرة الجديدة وطريق الفهم والاستيعاب لقواعد اللعبة من جديد كما أرى أن يكون الرئاسة الأمريكية بين « هيلارى « أو « أوباما « فليس من المعقول أن يكون « أوباما « أبن عم حسين المسلم الكينى والذى درس لمدة فى مدرسة إسلامية بجاكرتا فى اندونيسيا عندما انفصلت أمه عن والده

الذى عاد إلى كينيا ومات فى حادث سير سنة ١٩٩٠ وذهب « أوباما « لزيارته والترحم عليه .. فمازال حنينه إلى جذوره وعندما تزوجت أمه بمهندس بترول وانتقلت إلى الحياة معه من اندونيسيا وأنجبت له شقيقه من الزوج الجديد انتقل إلى الدراسة فى المدارس الكاثوليكية واسمه باللغة السواحيلية والتى سمى بها يعنى « بارك « أى مبروك ؟ فهل تسمح أمريكا بكل هذه الجذور والأصول وهل هى بهذه الشفافية حتى الآن ؟ ثم « هلارى « وبدايتها مع الأزياء الخاصة ثم توابع فضيحة « كلينتون « التى ربما مازالت تلقى بظلالها على المجتمع الأمريكى ثم لابد أن يكون الاختيار وفقا لقواعد ونظرية « رامبو « والتى لا يصلح أو يتفق مع أى من الشخصيتين .. ولكن إذا ما أمكن مشاهدة المسرحية الانتخابية الأمريكية فلا مانع بشرط ينطبق تماما مع رغبتك من مشاهدة فيلم أبيض واسود شاهدته أكثر من مائة مرة وتعرف كل تفاصيله ومع ذلك فإنك تراه وتبتسم وتهدأ إلى حد كبير ؟!

١ – هيلارى كلينتون : ولدت « هيلارى ديان روداهم « فى مدينة شيكاغو بولاية « إلينوى « فى ٢٦ من أكتوبر عام ١٩٤٧ من طبقة متوسطه من سكان الضواحى ووالدها عامل النسيج المؤيد للحزب الجمهورى غرس فيها الشعور الوطنى والمسئولية تجاه الوطن ومع اختيار صحيفة « ناشيونال لوجورنال « لها مرتين ضمن المحامين المائة الأكثر نفوذا فى أمريكا عام ١٩٨٨ ، ١٩٩١ إلا أن المجتمع الأمريكى ربما يكون غير متأهل حتى الآن لاستقبال « هيلارى « باعتبارها صاحبة الأصبع الذهبى ؟

٢ – اوباما : ولد «بارك حسين أوباما« فى شهر أغسطس عام ١٩٦١ فهل تسمح أمريكا بزنجى أسود من أصول إفريقيه كينية قريبة النسب ومن أب مسلم وهو يرى أن إسرائيل تشارك أمريكا العديد من القيم الديمقراطية والحرية

السياسية والاقتصادية وحرية المرأة ومع ذلك فهل ترى معى أن المجتمع الأمريكى يمكن أن يقبل بابن « عم حسين « ؟ حيث يقول« كولين باول « بعد الانتخابات الماضية « مازال المجتمع الأمريكى غير مستعد لقبول رئيس أسود « و أيضاً فى تمام الثامنة صباحاً بتوقيت القاهرة أذاعت القناة الخامسة بالتلفزيون الفرنسى Tvs monde يوم الأحد الموافق ٢٠ يناير ٢٠٠٩ برنامجاً إخبارياً أسبوعياً بعنوان " ريبورتاج " وحلقه الأسبوع خصصت فقرة فى غاية الإثارة بعنوان " عنصرية فى الولايات المتحدة " التقى خلالها مبعوث القناة الفرنسية جماعات من الأمريكيين المتعصبين الذين يعملون على تجنيد أكبر عدد من الشباب تجهيزاً لحرب أهلية أمريكية يقولون أنها ستقع لا محالة بسبب انتخاب باراك أوباما رئيساً لأمريكا ؟! .

وتحدث شخص إلى القناة الفرنسية مؤكداً أن انتخاب أوباما مخالف للدستور الأمريكى وشخص أخر يقول إن أصحاب البشرة البيضاء خانوا أمريكا بالتصويت "لاوباما " ونفس الشيء حدث فى ولاية إنديانا تحت إشراف جماعة تدعى " كوكلوكس كلان " وتصريحات عنصرية حمقاء أكثر من ذلك ؟! ...

و رغم كل ذلك فإن مؤسسات أمريكا الضخمة لم تلتفت إلى كل ذلك ؟ وهى تنظر بعين العقل والبحث " أمريكا فوق الجميع " فقد فشلت كل مساحيق التجميل ولجانه المتعددة فى تجميل وجه أمريكا فى العالم بعد أحداث جونتانامو والصومال وأبو غريب فى العراق وأمريكا غير مستعدة لاستمرار هذا الوجه الخشن وإن كانت هذه المؤسسات راغبة فى استمرار الصراعات الدولية خارج أراضيها فليكن " جون ماكين " وإن كانت تبحث عن الوجه الحسن ليلتقط العالم أنفاسه وأمريكا فى الداخل أيضا فليكن باراك اوباما " .. ولن يترك لصاحب فكرة أرض الأحلام اختيار صاحب الأصبع الذهبى كما قلت وستدور

obeikandi.com

عجلة الانتخابات وفقاً للمصالح الأمريكية فى العالم الخارجى والداخل أيضاً " أمريكا فوق الجميع " وليست أرض الأحلام فقط ؟! ....

٣ – جون إدواردز : حيث يخوض جون إدواردز سباق الرئاسة الأمريكية وهو الذى خاض الانتخابات الأمريكية السابقة عام ٢٠٠٤ كنائب لجون كيرى بقدر من التحدى والإصرار وهو يجد أن التعليم والاجتهاد العلمى أساس وروح التواجد فى الحياة لما عاناه والده لعدم إكمال التعليم وقد أعلن عدم رغبته فى حاله انتخابه فى شن حرب وقائية ضد إيران ويرى أن محاربة التطرف والإرهاب يجب أن يتم بالتوعية دون المساس بالحريات العامة أو ممارسة العنصرية ضد المسلمين وما أراه إلا أنه إن كان وفق المعايير المطلوبة فى المرحلة القادمة فسوف يتم تلميعه ليصعدوا به من الخلف إلى الإمام وإن كنت أرى أن المرحلة لا تناسب معطياته بالنسبة للمشروع الأمريكى القادم ؟

٤ – رودى جولياني : ولد وردى جولياني فى عام ١٩٤٤ فى بروكلين بولاية نيويورك لأسرة من الطبقة العمالية المنحدرة من العائلات الإيطالية المهاجرة إلى الولايات المتحدة ودرس القانون بجامعة نيويورك وتخرج عام ١٩٦٨ بتقدير امتياز وبدأ حياته فى مكتب المدعى العام الأمريكى ومنحته ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية شهادة الفرسان الفخرية عام ٢٠٠٢ ورشحه القنصل العام السويدى " اولى سبرج " لجائزة نوبل سنة ٢٠٠٥ وأغلب مانحى المعونه لجولياني من الراغبين فى مص دماء الأفارقة الذين يشترون الديون المعدومة بأسعار خيالية ليقاضوا بها بقيمتها الحقيقية فى المحاكم الغربية ومنهم " بول سينجر " مؤسس ورئيس شركة إليوت الذى اشترى ديون الكونغو المقدرة بـ ١٠ ملايين

دولار وقاضاها بعد ذلك لاستعاده الدين بقيمه تصل إلى ما يقرب من ١٢٠ مليون دولار وهو يؤيد حق الإجهاض ويؤيد سياسة أمريكا الحالية فى العراق ومحاربة الإرهاب وهو يرتبط بصداقة قوية مع زعماء إسرائيل فمنذ أن كان عمدة نيويورك وتنطبق عليه كل الشروط فهو نموذج من ديك تشينى ورامسفيلد فهل المرحلة القادمة هى مرحلته واستمرار مجموعة بوش الابن ربما لا يكون ذلك ؟!

٥ –

جون ماكين : وهو ينتمى إلى أسرة لها باع كبير فى العمل العسكرى فقد كان والده وجده ضابطين فى البحرية الأمريكية وقضى ما بين عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٣ كسجين حرب فى سجن Haolapris فى فيتنام اثر سقوط طائرته فى شمال فيتنام انتخب فى مجلس النواب الأمريكى عن ولاية أريزونا فترتين متتاليتين ثم انتخب فى مجلس الشيوخ عام ١٩٨٦ وتم تجديد انتخابه حتى الآن وهو أقدم الأعضاء فى لجنه الخدمات العسكرية واعتبرته مجله تايم الأمريكية عام ١٩٩٧ أحد أكثر ٢٥ شخصية مؤثرة فى الولايات المتحدة وفى عام ٢٠٠٢ وكان صاحب قرار واضح لدعم ضرب صدام حسين واحتلال العراق عام ٢٠٠٣ ولا يفضل الانسحاب من العراق ويسعى لمحاربه التطرف الإسلامى ويدعو إلى التصدى لإيران بكافه الوسائل ويرى دعم إسرائيل وتهميش حماس .

عزيزى القارئ بعد كل هذا الاستعراض والذى ربما تراه طويلا جدا إلا أنه نقاط سريعة فى بحر السياسة الأمريكية لترى معى انه ربما يكون الرئيس الأنسب للسياسة الأمريكية هو " جون ماكين " إن كانت أمريكا تريد حربا قادمة جديدة و الهدنة و السلام مع باراك أوباما ولكن ربما يكون للأقدار كلمة أخرى والغيب

بيد الله .. يقول ميكافيللى فى كتاب الأمير " يغير الرجال حكامهم برغبة أمل تحسين أوضاعهم وهذا الأمل يدفعهم إلى العمل ضد من يحكمهم و الحقيقة أنهم على وهم لأنهم سوف يكتشفون بعد حين ومن خلال التجربة أنهم تحولوا من سيء إلى أسوأ .. فهل تصلح مقولة ميكافيللى مع المجتمع الأمريكى ؟ أو ربما بعض الحكام الموالين ؟! ربما .

obeikandl.com

الفصل العاشر :

يقظة الإستراتيجيون قبل نقطة السقوط

هكذا شاركت إيران فى انتخاب أوباما :

قبل ما يقرب من العام ، وبالدقة فى يناير الماضي، كان هناك ما يقرب من أربعة عشر مرشحا للرئاسة الأمريكية ، وكتبت محللا وبذات العنوان « بين جون ماكين وأوباما بن عم حسين»، ولم يكن ذلك من باب التخمين أو المضاربة ولكنه كان لرؤية واضحة لمعالم السياسة الدولية، وتحققت النبوءة . وقت أو كانت هيلارى كلينتون الأقرب إلى البيت الأبيض، وعارض رؤيتى الكثيرون ولكننى كنت مقتنعا للحد الذى لا أرى فيه ما يغير من وجهه نظري، وفى نهاية التحليل كنت أميل إلى أن « جون ما كين» هو الأقرب إلى البيت الأبيض ، ولكننى استدركت قائلا : «ما لم تحدث أشياء أخرى ! ! وظهرت فى الرابع من نوفمبر الحالى النتائج النهائية وفاز بها « باراك أوباما»، كما كنت أتمنى فى عمق النفس ولكن على غير ما رجحت! ووقفت كثيرا أمام ما كتبت فربما كان هناك خطأ فى المدخلات، أدت إلى تغير فى الترجيح أدى إلى فشل « جون ماكين» ، وبالمزيد من التمعن والتفكير لكافة الملابسات والأحداث اتضح وجوب فوز « باراك أوباما» ، ليس لخطأ فى التحليل ولكن لسرعة التغير فى الأحداث، وهى على ما يبدو حتى الآن غير واضحة المعالم أمام الكثيرين ممن كتبوا حول النتائج واستمعت لهم جيدا فقد رأيتها بمنظور أخر.

أولا: أحداث حرب الخليج والإنفاق العالى جدا لها وما تبعه من نتائج

لم تكن على خرائط العسكريين والمخططين الاستراتيجيين الأمريكيين، بل والأوروبيين أيضاً، مما أدى إلى أن ترفع الولايات المتحدة (فى بداية عهد بوش عام ٢٠٠٠) من أسعار النفط مما يقرب من ٢٣ دولارا للبرميل إلى ما يقرب من ١٢٨ دولارا حالياً ! ولا تستطيع أو يمكن لدولة منتجة أو مصدرة أن تفعل ذلك، وكلنا يعمل ما حدث عند رفع سعر البرميل إلى أربعين دولارا للبرميل وقت أحداث حرب اكتو بر عام ١٩٧٣، وما يمكن أن يؤثر فى الاقتصاد العالمى أدى إلى اعتبار عودة الضخ قبل الاتفاق على السلام، ثم أتبعت ذلك بخفض قيمة الدولار إلى النصف لعدم زيادة العائد المادى الذى حصلت عليه الدول العربية المنتجة! وحتى عاد التوازن المالى للتعاملات الدولارية على مستوى العالم بأكمله !! ومن المعروف أن أمريكا هى المهيمن الأكبر والمستفيد الأعظم من تلك التجارة، لأنها تنتج وتأخذ ولا تستهلك فقط، ولكن تبيع أيضاً وما يأخذ المنتجون هو ما يشبه حق الانتفاع فقط، ومع كل ذلك فهو لا يزال قابعا فى خزائن البنوك الأمريكية ويستهلك الباقى فى أمور عسكرية ولوجستية وأكثرت أمريكا من التعامل الدولارى النقدى على تلك الأمور ودون الاستخدام فى التعامل التجارى وبنقد مكشوف أدى إلى صراخ وليس تحذير من رئيس البنك المركزى الأمريكى من الكساد المتوقع. وزاد تحذيره وصراخه من أن تحول بعض الدول القابع فى أرضها النفط لتعاملاتها على النفط بعملات أخرى ربما يكون اليورو الأوروبى « وسبق تحليل ذلك أكثر تفصيلا فى بحث سابق» . وتدخلت الأوامر السياسية للإمبراطورية الأمريكية لتحول دون وقوع تلك الكارثة ولكن بقيت تداعياتها حتى الآن.

ثانياً: مما سبق نتجت الكارثة الاقتصادية الحالية والتى كانت ماثلة أمام من يرى أو يدرك ولكن لم تستطع أمريكا الرجوع أمام تداعيات الأحداث فى العراق

وأفغانستان ، وبالتالى التراجع عن التصعيد فى القوقاز ، وبالتالى لم تستطع أمريكا ترجيح كفة الداعين إلى ضرب إيران وفتح حرب جديدة لم يعد يتحملها الاقتصاد الأمريكى بل والعالمى أيضاً، وكان مرشحا لقيادتها « جون ماكين« بكل خبراته وجرأته السياسية والعسكرية ولم يعد هناك إمكانية إيجاد مشروعية فى الأمم المتحدة بعد أحداث القوقاز وزيادة التقارب الإيرانى الروسى والصينى أيضاً، مما يصعب من الحصول على قرارات دولية تمكن التحالف الغربى من شن تلك الحرب وعلى ما يبدو عدلت أمريكا من سياستها التى تتجه نحو الهاوية والحرب إلى التعامل السياسى والضغوط السياسية والاقتصادية، وبالتالى أصبحت فى حاجة إلى شخص آخر يتعامل (وفق المؤسسات) الإستراتيجية لكى يتأهل لاتخاذ مثل تلك القرارات الصعبة.

ثالثاً : مما سبق أيضاً تلاحظ خفوت أو نضوب حدة التوتر والتصعيد من أمريكا والدول الست الكبرى بالنسبة لأزمة البرنامج النووى الإيراني، وخروج تقرير المخابرات المركزية الأمريكية لكى يقلل من أهمية وحتمية ضرب إيران لبعد الفترة الزمنية التى تؤهلها إلى إنتاج فعلى لسلاح نووي، وبالتالى توجد مسافة ووقت للضغوط الاقتصادية والسياسية أيضاً ! وتبع ذلك هدوء ملحوظ على الجبهة العراقية، وتكاد تنتهى أخبار وأحداث العنف والمقاومة العراقية وبسرعة غير متوقعة مما يدل على أنه ربما كان هناك اتفاق تحتى أو خلف الأبواب المغلقة بين إيران وأمريكا على ذلك، ثم تبع ذلك عدم الرغبة فى تهيئة الشرق الأوسط لمسرح العمليات الذى كان متوقعا عند ضرب إيران ، وانتهت فصول «أنابوليس« بكل مالها و ما عليها وانتهت التعهدات الأمريكية بحل المشكلة قبل خروج جورج بوش من البيت الأبيض ، وعادت الأمور إلى نقطة الصفر مرة أخري، وانتهت كما بدأت و ما بدا يظهر فى الأفق هو تبعات

التهدئة لا تتحرك عن اتفاقات ورقية ومؤتمرات سياسية أحترفها كل العاملين فيها من خبرات سابقة قاربت على الستين عاما الماضية! ، وتبع ذلك عودة التوغل الإسرائيلى فى قطاع غزة مع بشائر الشتاء الحالي، ثم تلى ذلك التباعد وربما التنكر لبعض ما اتفق عليه بين سوريا وإسرائيل، ولم يعد الثمن حاليا على الأقل فى مصلحة أية تنازلات إسرائيلية فى هضبة الجولان السورية، واتفق الطرفان السنى والشيعى على التهدئة، فلم يعد هناك ما يمكن أن تأخذه الطائفة السنية، فلم يعد الوقت ملائما لإعادة فتح ملف « رفيق الحريري« مرة أخرى ، ولم يعد أمام حزب الله ما يمكن أن يأخذه فى الوقت الحالى وخاصة بعد تبادل الأسرى الأخير! ، وتلقى ما يكفى من إشارات بذلك من القيادة الأم فى إيران! وتراجع الجانب السورى عن التشدد المعهود وحضر إلى مؤتمر الأورومتوسطى الذى حضرته إسرائيل أيضا ودون مقابل أيضا! .

رابعاً : يضاف إلى ما سبق فشل جميع مساحيق وعمليات التجميل لوجه أمريكا فى العالم، أرض الأحلام وراعية حقوق الإنسان، فأين حقوق الإنسان وأحداث معتقل أبو غريب، وليس بجديد كل ما حدث فيه من أحداث يندى لها جبين الإنسانية، وليس فقط أمريكا ، ثم أحداث أفغانستان، وما يجرى حتى الآن على أرضها ثم معتقل « جوانتانامو« والذى لازال يحدث رغم محاولة أمريكا غلق الملف (ولم يحدث حتى الآن)، ثم أحداث الصومال وليست ببعيدة وقريبا ضرب قرية « بوكمال« فى سوريا ! ثم محاكمات جنائية للمقاومة العراقية، ومن محكمة عراقية بتهمة قتل جنود أمريكان فى العام الماضي! (إسقاط شرعية المقاومة ضد الاحتلال)، كل ذلك أدى إلى فشل جميع المؤسسات الموكل إليها تجميل وجه أمريكا أمام العالم بأسره، وليس فى الشرق الأوسط وحده، بل وفى داخل أمريكا نفسها! وبالتالى كانت أمريكا فى أشد الحاجة بل وحتمية تغيير

وجه أمريكا أمام العالم بعد فشل عمليات التجميل وهو اختيار موفق لشخصية سوداء ومن أصول أفريقية وجذور إسلامية، هللت له كل عواصم العالم بعد ظهور نتائج الانتخابات الأخيرة، فكان من مجمل التحليلات أن انتخاب الأمريكيين «لباراك أوباما» رئيسا موافقا لرغبة غالبية شعوب العالم فى التغيير، لاسيما بعد معاناة العالم كله طوال ثمانى سنوات من حروب متعددة ومن أزمة اقتصادية قد تدفع بالاقتصاد العالمى إلى حافة الهاوية غير المسبوقة منذ عقود! وأن العالم ربح كثيرا اقتصاديا وسياسيا بانتخاب « أوباما» كيف ذلك ؟ لا أدرى وهو لم يدخل البيت الأبيض بعد، ونسى الجميع أن أمريكا إمبراطورية وحيدة فى العالم تحكمها مؤسسات ضخمة ومتشعبة تعنى بكل صغيرة قبل الكبيرة فى كافة أنحاء المعمورة ! وأنها تعمل وفق نظام مؤسسى كامل ومترابط لا يتقيد برئيس و رأيه الأوحد فقط ! .

و هناك شعار وحيد يحكم الجميع فى أمريكا وربما العالم بالتالى التابع والضعيف منه بأن " أمريكا فوق الجميع !" ولم يعجبنى ، بصفة شخصية، فى تحليل النتائج النهائية سوى كلمة الرئيس الكوبى السابق " فيدل كاسترو"، عندما علق قائلا : "إن باراك أوباما أذكى وأكثر ثقافة وهدوءا من منافسه العجوز المولع بالقتال " وكان "كاليجولا ثالث إمبراطور فى روما طاغية فظا، ومع ذلك يحكى أن فكرة راودته تدل على قلة احترامه لما تمثله شخصية عامة ! فقام بتعيين حصانه المفضل "إنستاتوس" أولا فى مجلس الشيوخ ومن ثم حاكما، وربما كان " كاليجولا" يعنى بهذا أن آلية الإمبراطورية الرومانية كانت تعمل من تلقاء نفسها، فما أن انطلقت تستطيع الاستغناء حتى عن قياصرتها ! ! ، وما أعنيه ليست المشكلة فى غباء " بوش" الكارثى أو فى حماسة الرئيس المقبل بل فى المشيئة الخاصة لإمبراطورية ولدت من الحرب ضد أسبانيا (١٨٩٨) ثم

نظمت " السلام الأمريكي" بعد الحرب العالمية الثانية.

الموقف الشرق أوسطى :

بعد إعلان نتائج الانتخابات الأمريكية حذرت إسرائيل من إعلان الرئيس الأمريكى المنتخب «باراك أوباما« استعداده للحديث مع إيران، وزعمت أن ذلك قد ينظر إليه فى الشرق الأوسط على أنه مؤشر ضعيف فى الجهود الرامية إلى إقناع طهران بالتخلى عن برنامجها النووي، وردا على سؤال حول تأييدها لأى حوار مع إيران قالت «ليفني« وزيرة الخارجية الإسرائيلية (حتى الآن): لا، وأضافت أنها سوف تمثل إسرائيل فى قمة « شرم الشيخ« ، ولكنها ترغب فى إنهاء الاجتماع بوثيقة عامة ترصد التقدم فى المفاوضات، إلا أنها لن تفصل ما تم الاتفاق عليه أو الذى لايزال الخلاف قائما بشأنه، وأعلن السفير الأمريكى لدى إسرائيل جيمس كانينجهام« أن رئيس الولايات المتحدة باراك أوباما سيكون رئيسا عظيما وصديقا كبيرا «لتل أبيب« ، ولكن التحليلات التى خرجت من إسرائيل أضافت أنه من المحتمل أن يكون فوز «أوباما« له تأثير مثير على استمرار السفير الأمريكى الذى لم يمض على وجوده فى إسرائيل أكثر من ثلاثة شهور فقط.

أما على المستوى الإعلامى العربى فقد كان التهليل والابتهاج والأفراح العاطفية التى لازالت تحكم الشرق الأوسط هى الغالبة، وبصورة قد تكون أكثر وضوحا مما يحدث فى أمريكا نفسها، ولنا سوابق كثيرة من التاريخ فى ذلك، عندما كان يهلل العرب كلما كانت الغلبة فى الصراع بين الإمبراطورية « الرومانية« والإمبراطورية «الفارسية« . ونسى الجميع أن كلتا الإمبراطوريتين فى شكل استعمارى ذاق الأمرين من كلتيهما ! ويمكن اختصار كل تلك المشاعر فى مانشيت كبير لإحدى الصحف العربية الهامة « أوباما يصنع التاريخ بفوز

ساحق ! « و لست أدرى كيف صنع هذا العملاق الفذ مع كل الاحترام لشخصه الكريم وكل التفاؤل أيضا ! كيف يصنع التاريخ وهو لم يدخل البيت الأبيض بعد ؟! ومن بعد وقبل يناير المقبل !! (وسبحان الله) !! وأخيرا ! يقول « أوباما « (كلاهما تعرض للاضطهاد) مساويا بين اليهود والسود! ونقول «معلهش« تصريحات انتخابية ! ثم يقول فى مؤتمر «إيباك« : «ستبقى عاصمة إسرائيل (القدس) وموحدة أيضا؟! ونقول أيضاً معلهش تصريحات انتخابية ! ثم نستبق الأحداث من باب الاحتياط إذا ما حدث قرار فعلى «يجب إعطاء الرجل فرصة لدراسة الموقف فى الشرق الأوسط، فهى قضية معقدة وتحتاج إلى دراسة وتأن فقد مضى عليها ما يزيد على ستين عاما! « ثم فى العام القادم « مازالت الأمور الخارجية والشرق أوسطية خارج الأولويات الحالية فى أمريكا ، وهناك أمور أخرى مثل الموقف الاقتصادى والكساد، وفى العام بعد القادم معلهش أيضاً، فأمريكا بدأت تجهز لانتخابات جديدة لا تستطيع معها اتخاذ قرار حاسم فى الشرق الأوسط، وبدلا من كل هذا فإننى أرى وجوب وحتمية تحويل القمة العربية الاقتصادية المقبلة إلى قرارات سياسية إضافية وإستراتيجية تتناسب مع المتغيرات الدولية المقبلة، نعرف فيها القدم من الرأس بدلا من التشجيع والتبرير. فنحن فى أشد الحاجة إلى تحديد موقع استراتيجى حقيقى فى الشرق الأوسط يحدد المكانة والمكان فى تلك البقعة الهامة والخالدة على أرض المعمورة، وإن كان هناك حلول أفضل فنحن فى أشد الحاجة إليها الآن .. وإلى اللقاء.

الفصل الحادى عشر :

من واقع تحولات الإمبراطورية الأمريكية

التغيير.. الحقيقة التى لا تتغير «

أعلن نور المالكى عن صلاحية الاتفاقية الأمنية بين العراق وأمريكا ، مضيفا بأن بلاده لن تسمح أبدا باستخدام أراضيها لشن هجمات على أى دولة من جيرانها ، فى الوقت نفسه أعلن كبار قادة الجيش الأمريكى اعتراضهم على تحديد الاتفاقية نهاية عام ٢٠١١ كموعد لانسحاب القوات الأمريكية من العراق ، وقال الأدميرال « مايكل مولن « رئيس هيئة الأركان المشتركة أن الانسحاب سيظل مرهونا بالظروف الميدانية ، وأوضح رئيس الأركان أنه يتفق مع مسئولين عسكريين أخرين مثل قائد القوات الأمريكية فى العراق الجنرال « رأى أوديرنو « وقائد القيادة الوسطى الجنرال « ديفيد بترايوس « على أن الانسحاب يجب أن يستند إلى الأوضاع الميدانية ، وحول تعهد الرئيس الأمريكى بالانسحاب من العراق بحلول منتصف عام ٢٠١٠ ، قال « مولن « إن « أوباما « أعلن أيضا أنه سيطلب مشورة هيئة الأركان قبل أن يتخذ أى قرارات خاصة بالعراق وأعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية البريطانية « جون ويلكس « أن بلاده تحتاج إلى اتفاقية أمنية مماثلة مع العراق ، يكون هدفها الأساسى الدخول فى مرحلة جديدة من العلاقات بين بريطانيا والعراق ، وأعلنت « أنقرة « أنه وفقا للاتفاقية فإن « تركيا « سوف تضطر للحصول على تصريح من الحكومة العراقية للقيام بعمليات عسكرية فى شمال العراق ضد مواقع حزب العمال الكردستانى .

obeikandl.com

من مجمل وملامح تلك التصريحات نلاحظ الآتى :

(أ) أن القيادة الميدانية الأمريكية فى العراق تدرك تماما الأهداف الأمريكية التى ذهبت من أجلها للعراق ، وهى الارتباط الدائم بمنابع النفط العراقى باتفاقيات ثنائية تكون نتيجة ما تحقق خلال التواجد الطويل ولسنوات عديدة على الأرض العراقية ، وترى أن مسرح العمليات الواقعى – بعيداً عن الإعلانات الإعلامية – مازال غير ممهد بالطريقة الآمنة .

(ب) مازالت البلاد الخليجية فى حالة من الاضطراب السياسى و الأمنى ، خاصة أن التهديد والمشكلة الإيرانية لم تحل بعد وإن بقيت فى حيز التجميد ، وليس الانفراج الكامل .

(ج) يعتقد القادة بأن التواجد الفعلى قريبا من مسرح العمليات يوفر الكثير والعديد من الأمور اللوجستية . ونقل وتمركز القوات مرة أخرى فى حالة تغير الأوضاع المجمدة ولكنها أيضا غير مستقرة ، يعنى مشاكل عديدة هم فى غنى عنها فى الوقت الحالى .

(د) مازالت تركيا فى حاجة إلى مزيد من الوقت لاستغلال الموقف المتدهور السيادى على الأرض العراقية لتحقيق أهدافها فى القضاء على فلول حزب العمال الكردستانى وهى مشكلة تركية داخلية وسياسية خارجية أيضا.

(هـ) أما فى إيران فإنه على ما يبدو قيد اتفاقيات سرية وغير معلنة عن التهدئة والتصعيد ، وما يخرج من تصريحات إيرانية هو لتبييض ماء الوجه فقط طبقا لقواعد اللعبة ، ولكن على الجانب السياسى والاستراتيجى فتوجد أمور عديدة هامة بل و قسرية تواجهها الحكومة الأمريكية فى منعطف خطير وهام يمس فى العمق مكان وزمن التواجد على القمة فى

القرار الدولى والإمبراطورية الأمريكية فى الوقت الحالى حيث تواجه الإمبراطورية الأمريكية منحنى جديدا طبقا لدورة حياة « الهيمنة « مثل التى تعرضت إليها بريطانيا (١٨١٥– ١٩٣٩) والتى تتعرض لها أمريكا من (١٩٣٩ – حتى الآن) وكشف « سبيزيو« فيها عن أنه كانت هناك علاقة عكسية بين القوة العسكرية عند الإنجليز والوضع الاقتصادى (وهو ما تتعرض له أمريكا الآن) و أنتهى إلى القول بأن نظرية (جيلبين) لها ما يؤيدها بوجه عام ... وطرح « جورج موديلسكى « و « وليم طومسون « نظرية فى العلاقات الدولية والحرب أسمياها نظرية « الدورة الطويلة « وجاء فى النظرية ثلاث بنيات فى نظام العالم : البنية الأولى النظام السياسى العالمى .. والبنية الثانية النظام الاقتصادى العالمى والبنية الثالثة ، نظام لم يكتمل للثقافة العالمية .

النظام السياسى العالمى ليس فوضويا كلية ولكنه يمتلك شكلا من أشكال الحكم اللا مركزى يفتقر إلى السلطة المهيمنة ولكنه أحيانا يختفى أداؤه اختفاء تاما ، وكثيرا ما تكون مشتركة بين جملة دول ولكن من آن لآخر تقع عملية إدارة هذا النظام العالمى الذى تتبادل مكوناته الاعتماد بعضها على بعض فى قبضة وحدة منفردة « الإمبراطورية الأمريكية «. ولقد وضعت نظرية « تشارلز .ف دوران « عن دورة « القوة النسبية « نظرية احتمالات لصنع قرار الحرب فى سياق صعود وهبوط القوة النسبية للدول العظمى وهى أربعة احتمالات فى الدورة : (أ) عند الصعود ، (ب) قبل اعتلاء القمة والجلوس فى مركز القيادة . (مرحلة الاستقرار) ، (ج) عند بداية الهبوط ومحاولة الرجوع إلى القمة ، وهى المرحلة التى أرى أن أمريكا تمر بها الآن !.(د) ثم مرحلة الهبوط بحثا عن الذات . ويعتقد « دوران « أن

قدرات القوة للدول العظمى بالنسبة للأعضاء الآخرين المنتمين إلى النظام المركزى للقوى العظمى تتبع طريقا دورانيا من النمو والنضج والتدهور أيضا (بالتبعية و الانتساب) ، وبالرغم من اختلاف حالات العلو والهبوط لكل دولة وأيضا طول الوقت الذى تستغرقه لبلوغ هذا القسم من دورة الحياة وأدنى نقاط تداعيها إلا أن كل قوة عظمى تمر من خلال هذه الدورة .

فى اعتقادى أن الدورة ترجع إلى حد كبير إلى تقطع معدلات النمو الاقتصادى الداخلى (الأزمة الاقتصادية) ويعنى أى تغيير فى القدرات النسبية إلى حدوث تغيير فى الأدوار (يشمل الجميع من الزعيم إلى الأتباع « فريق العمل المساعد «) ، ويصعب أن تضطلع الدول بهذه التنقلات التى أحدثها اجتياز النقاط الحرجة فى دورة القوة .. فبينما تدعو النقاط الحرجة إلى إحداث تحولات مسبقة فى الدور الرئيسى إلا أن ظهورها المباغت يراوغ أية محاولة متقدمة لاكتشافه ، ومن هنا ارتفعت درجة عدم اليقين وازداد تعرض الزعماء للغلو فى رد الفعل (دورة بوش الابن) ،وإساءة الإدراك التى تسوقهم إلى اختيار الحرب (كانت فى احتمالات جون ماكين) ، إلا أنه من المدهش حقا والمثير للإعجاب أيضا هو إدراك صانعى القرار ومخططى الإستراتيجية إلى الوضع الحالى الحرج ، وفى اعتقادى أيضا أنه تم ذلك فى الوقت المناسب لمحاولة تجاوز تلك النقاط الحرجة فى دورة حياة الإمبراطورية الأمريكية ، وتم تعديل المواقف والخيارات طبقا للواقع وإدراكه وتقييم حجمه وقدرته إلا أنه توجد عدة مصاعب جمة ومشاكل وجب حلها فى وقت محدد لامتحان مستقبل الإمبراطورية الأمريكية ، ويقول « رونالد ريجان « الرئيس الأمريكى الراحل « يدعم الكثير من البلدان نفسه بالحرب وما يتخللها من تقهقر ومهادنة أكثر من كونها إلى الصعود والتمسك بما تعتقد !«.

أرى أن انتخاب الرئيس الأمريكى « باراك أوباما « قد صادفه الكثير من الصواب من واضعى الإستراتيجية الأمريكية لعوامل عديدة نرى منها أن واضعى الإستراتيجية يدركون تماما نقطة المكان (المحل الحالى) للإمبراطورية الأمريكية وما تستلزمه تلك المرحلة :

(أولا) الولايات المتحدة أصبحت بحاجة شديدة إلى تغيير الوجه وربما اللون أيضا بعد فشل كافة اللجان والعمليات السابقة لتجميل الوجه الأمريكى أمام العالم (النظام العالمى) ، وذلك حتى يتمكن العالم من استيعاب وتقبل الإجراءات الأمريكية للعودة إلى نقطة الاستقرار (قبل الهبوط) ، وبالتالى يتحمل العالم تلك الإجراءات بأقل آلام ممكنه إكراما وعاطفة نحو الوجه الجديد وللون الجديد أيضا.

(ثانيا) هى فى حاجة إلى الوقت اللازم لمعالجة المشكلة الاقتصادية العالمية التى تسببت فيها من أولوية الإنفاق على المشروعات العسكرية بعيدا عن التوازن الاقتصادى اللازم مما أستوجب تغيير المسار الاقتصادى والتدفق النقدى غير المبرمج تناسبا مع المنتج الاقتصادى والحاجة إلى الاستهلاك الفعلى (ارتفاع غير مبرر لأسعار النفط بصورة لم يسبق لها مثيل) ، استلزم سيولة دولارية ورقية غير مستندة إلى واقع اقتصادى يتناسب معها كما استلزم مزيدا من الوقت المستقطع للراحة والتقاط الأنفاس ، مما استلزم بالتالى اتفاقات وتجميدا ومهادنة مع الصراعات العسكرية المحتمل مواجهتها فى الوقت الحالى .

(ثالثاً) وجدت أمريكا نفسها مدفوعة نحو خيارات عسكرية طال أمدها عما كان متوقعا على المستوى المالى والعسكرى لتحقيق (كما كانت تأمل) الاستقرار السيادى للإمبراطورية الأمريكية ، استلزم معه توفير العدد اللازم لتحقيق ذلك من جنود وتواجد عسكرى إضافى للتواجد الثابت فى كوريا وأوروبا وآسيا

obeikandi.com

الوسطى بفتح جبهة جديدة فى كل من « أفغانستان « والعراق ، طال أمدها عما هو مخطط ومتوقع استلزم الاستعانة بأفراد وجنود من خارج أرض الولايات المتحدة نفسها وإن كان الأقرب والطبيعى أن تكون من داخل الولايات المتحدة ذاتها والأقرب هم القادمون من أفريقيا من زمن بعيد نسبيا ، ولكنهم لم ينظروا فى الواقع إلى الزمن البعيد القادم طبقا لظروف عرقية وأفكار باليه جعلت هؤلاء لا يشعرون بالانتماء الكافى والظروف الاجتماعى المناسبة لكى يتم انخراطهم فى القوات المسلحة الأمريكية بل وأقول التعليمية والثقافية والصحية وإن كان يتم ذلك بنسبة محسوبة وغير مناسبة ومخططة ، لمستقبل بعيد لإمبراطورية جديدة تريد أن تستمر شبابا وحيوية إلى أمد بعيد وقد عبر عن تلك النظرية القاصرة « منتسكيو « الكاتب الفرنسى فى كتابه المشهور « روح القوانين « .

Si j›avais a soutenir le droit que nous avons eu de render les negres esclaves, voici ce que je dirais: les peoples d›europe ayant extermine ceux de l›Amerique, et il ont entame de mettre en esclavage ceux de I›Afrique, pour s›en servir a defricher tant de terres… Ceux dont il s›agit sont noirs depuis les pieds jusqu› a la tete, et ils ont le nez si ecrase qu›il est Presque impossible de les plaindre. On ne peut se mettre dans I›idee que dieu, qui est un etre tres sage, ait mit une ame, surtot une ame bonne, dans, un corps tout noir

عفواً للإطالة بالفرنسية لدقة التعبير والترجمة أيضاً وهى تعنى بالعربية " إذا طلب منى أو أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدا فإننى أقول : إن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين ، لم تر بدا من أن تستعبد شعوب أفريقيا لكى تستخدمها لاستصلاح أراض فسيحة ، هؤلاء السود من أخمص القدم إلى قمة الرأس أصحاب أنوف فطساء شنيعة بحيث يكاد أن يكون مستحيلا أن ترثى لها ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى – وهو ذو حكمة سامية . وقد وضع روحا – وعلى الأخص روحا طيبة – فى داخل جسم حالك السواد " .... فلما كانت هذه النظرة الضيقة والعنصرية والتى تعانى منها الإمبراطوريات فى الوقت الحالى أو من آثارها على الأقل التى بدت الآن . فهل كانت تجربة " المماليك ": فى مصر أو مشكلة " بدون " فى الكويت ماثلة أمام هذا الفكر القاصر ؟! وبدأت أمريكا فى مسكنات بعد حرب الخليج الأولى فى الاستعانة بجنس ملون يتماثل فى الصحة والبنيان والقرب من أمريكا (البطاقة الخضراء) فى تمويل الجيش الأمريكى بأفراد من أمريكا الجنوبية وإن بدت فى نطاق ضيق (black– water) وأيضا فى التشكيل الأساسى طبقا للحاجة المستقبلية لاحتياجات القوات المسلحة الأمريكية ، وما يستلزم ذلك من وقت وتجهيز وإعداد ،ولا أقصد هنا القادمين من فترة طويلة أو ولدوا فى أمريكا (جورج تينت) ، ولكن فيما ينتظر قدومهم ، ولكن هل مع الوقت القريب تتغير الموازين والأحداث طبقا لنظرية الولاء والانتماء ؟! هذا ما ستكشفه السنوات والأحداث القادمة ودوام الحال من المحال .

الخلاصة أن أمريكا فى مرحلة إعداد وتجهيز مصادر التمويل البشرى والتدريب والإعداد ، مما قد يؤثر على موازين عديدة فى الداخل الأمريكى ثم علاج السحب النقدى المكشوف وعلاج المشكلة الاقتصادية ، وإدراك الجانب

الأمريكى بصعوبة المواجهة مع إيران والميزان الشيعى فى العراق فى الثقل والمكانة وعلاقته القوية طبقا للتبعية مع إيران وهى فى انتظار اعتدال الميزان السنى أو حتى التهديد به ثم الجانب التركى الذى وجب عليه إدراك أن للحدود وجودا وليس معنى هروب الفأر من شقتك أن يكون من حقك مكافحته فى شقة جارك وللدخول أصول .. وإلى اللقاء .

obeikandl.com